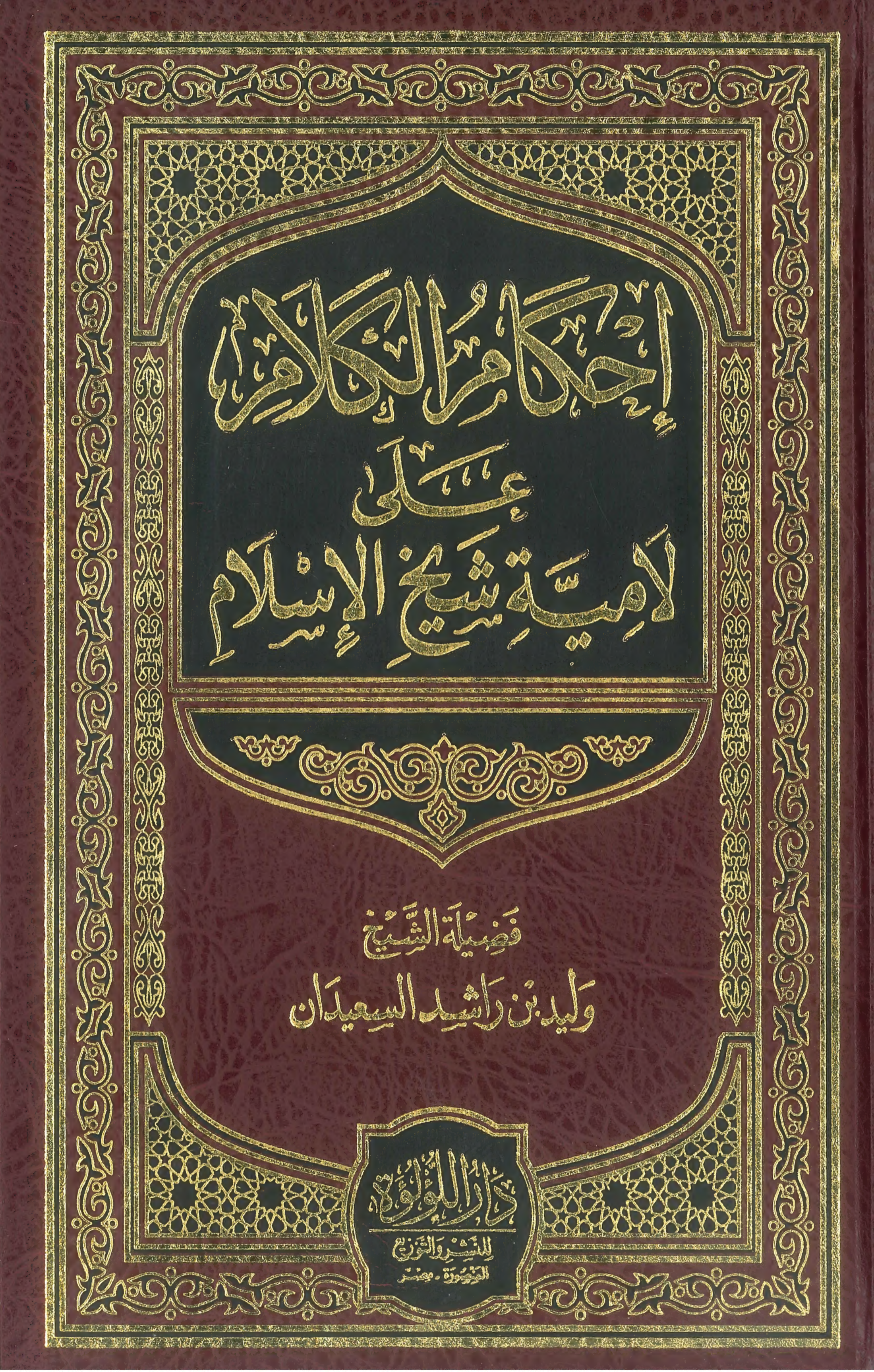
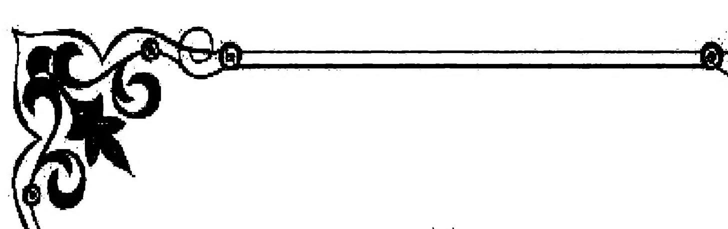

إحكام الكلام
على
لامية شيخ الإسلام
فضيلة الشيخ
وليد بن راشد السعيدان
دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

إحكام الكلام على لامية شيخ الإسلام



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠ م

رقم الإيداع: ١٠٧٦٦ / ٢٠٢٠

الترقيم الدولي: ١- ٨٠-٦٨٠٦-٩٧٧-٩٧٨

الناشر



٢٣ شارع محمد عبده - خلف الجامع الأزهر - القاهرة

٠١٠٥٠١٤٤٥٠٥ - ٠٠٢٢٥١١٧٧٤٧

فرع المنصورة: شارع الهادي - عزبة عقل - المنصورة

ت: ٠٥٠٢٣٥٧٩٧٩ - ٠٠٢٠١٠٠٧٧١١٦٦٥

واتس/ ٠٠٢٠١٠٠٧٨٦٨٩٨٣

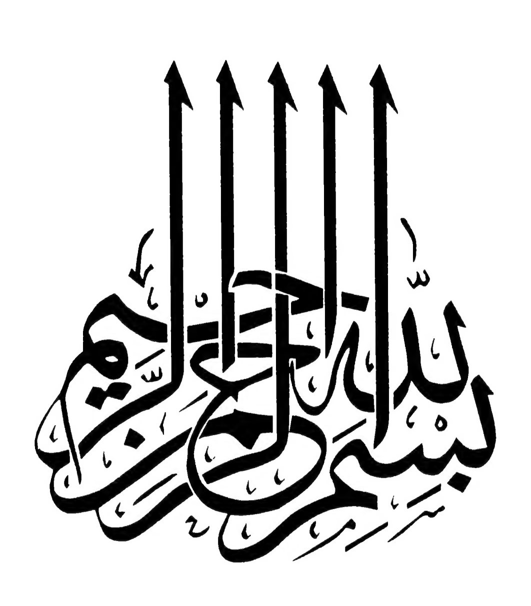
Dar_Elollaa@hotmail.com



فضيلة الشيخ
وليد بن راشد السعيدان






بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة الشارح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومَن والاه واهتدى بهداه، أما بعد...

أسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يشرح صدورنا، ويغفر ذنوبنا، و يُعليَ منازلنا، ويتجاوز عنا، ويُحسن خاتمتنا، وأن يجعل قبورنا روضة من رياض الجنة، وأن يوفقنا للحق وللثبات عليه إلى أن نلقاه.

كما نسأله جَلَّ وَعَلَا أن يجعلنا هداة مهتدين، لا ضالين ولا مضلين، ونسأله جَلَّ وَعَلَا أن يُبصرنا وإياكم بالصراط المستقيم، وبالمنهج العدل القويم، وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يكفيني وإياكم شرور الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

فهذا شرح لامية **أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأجزل له الأجر والمثوبة، وجزاه الله عنا وعن المسلمين خير ما جزا عالِمًا عن أمته.

وهذه المنظومة المباركة لا تتجاوز ستة عشر بيتًا، بل في بعض النُسخ أربعة عشر بيتًا، ولكنها جمعت بين دفتيها **الأصول العامة عند أهل السُّنة والجماعة.**

وقد شكك بعض الناس في نسبتها **لأبي العباس بن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقال: **(إنها من المؤلفات التي لم يذكرها الإمام ابن القيم في سرده لمؤلفات شيخه ابن تيمية، وهو أعرف الناس بمؤلفات شيخه)**، فهذه المنظومة لم يذكرها ابن

القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بينما غيره يثبتها له، حيث أنها وُجدت بين مجموعة من رسائل **أبي العباس ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فما قبلها من رسائله، وما بعدها من رسائله، ووُجدت بينها، فقيل إنها **لامية أبي العباس بن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وممَن أضافها له **الإمام المعروف الحنبلي: محمود شكري الألوسي** في سرده لمؤلفات **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفي شرحه لهذه اللامية أيضًا.

وقد جرى عُرف العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ على تسميتها بـ **لامية أبي العباس**، وقد شُرحت مرات كثيرة؛ شرحها أهل العلم السابقون والمعاصرون، ولم يأبه أحدٌ منهم بتحقيق نسبتها لـ **أبي العباس ابن تيمية**؛ لأن ما قيل فيها حق، وتلك العقائد المذكورة فيها كلها حق، فسواءً كانت من كلام **أبي العباس ابن تيمية** أو من غير كلامه، فلا شأن لنا بذلك، فالمهم أن ما قيل فيها حق، وهي يُمكن أن تُحفظ في جلسة واحدة؛ لأنها أبياتٌ مختصرة محررة جمعت بين دفتيها غالب **معتقد أهل السُّنة والجماعة**.

وتفاصيل هذه العقائد التي ذكرها **أبو العباس** في هذه المنظومة اليسيرة تطول، ولكن نحاول أن نختصر ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا.

وسيكون أصل الشرح هو تقرير القواعد العامة التي تخص كل باب من أبواب العقيدة عند أهل السُنة والجماعة إن شاء الله، ونسأل الله أن يُعيننا، وأن يرزقنا وإياكم الإخلاص في القول والعمل، وأن يوفقنا وإياكم لصالح الأعمال.

❊ ❊ ❊

• **قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في اللامية:**

يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وعَقِيدَتِي ... رُزِقَ الهُدَىٰ مَنْ لِلْهِدَايَةِ يَسْأَلُ

اسْمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ فِي قَولِهِ ... لاَ يَنْثَنِي عَنْهُ وَلاَ يَتَبَدَّلُ

حُبُّ «الصَّحابَةِ» كلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ ... وَمَوَدَّةُ القُرْبَىٰ بِهَا أَتَوَسَّلُ

وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلاَ وَفَضَائِلٌ ... لكِنَّمَا الصِّدِّيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ

وَأَقُولُ فِي القُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ ... آياتُهُ فَهْوَ الْكَرِيمُ الْمُنزَلُ

وَأَقُولُ قَالَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ ... وَ الْمُصْطَفَىٰ الْهَادِي وَلاَ أَتَأَوَّلُ

وَجَمِيعُ «آيَاتِ الصِّفَاتِ» أُمِرُّهَا ... حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الأَوَّلُ

وأَرُدُّ عُهْدَتَها إِلَىٰ نُقَّالِهَا ... وَأَصُونُها عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ القُرانَ وَرَاءَهُ ... وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الأَخْطَلُ

وَالمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقًّا رَبَّهُمْ ... وَإِلَىٰ السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ

وأُقِرُ بالْمِيزَانِ وَ الْحَوضِ الَّذِي ... أَرجُو بأَنِّي مِنْهُ رَيًّا أَنْهَلُ

وَكَذَا الصِّراطُ يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمٍ ... فَمُسَلَّمٌ نَاجٍ وَآخَرَ مُهْمَلُ

والنَّارُ يَصْلاَهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ ... وَكَذَا التَّقِيُّ إِلىٰ الجِنَانِ سَيَدْخُلُ

ولِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ في قَبْرِهِ ... عَمَلٌ يُقارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ

هذا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ ومَالِكٍ ... وَأَبِي حَنِيفَةَ ثُمَّ أَحْمَدَ يُنْقَلُ

فَإِنِ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمُوَفَّقٌ ... وَإِنِ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مُعَوَّلُ

بداية لابد لنا أن ننبه علىٰ ثلاث ركائز عامة، إذا حفظها المسلم وأتقن تطبيقها فإنه يكون من أهل السُنة والجماعة، وإذا اختل شيءٌ منها، فليعلم أنه

خارجٌ عن مذهب أهل السُنة والجماعة، وهذه الأصول الثلاثة، هي الركائز العقدية الكبيرة التي منها ينطلق أهل السُنة والجماعة في تقرير عقيدتهم، فانتبهوا لها وفقكم الله.

الركيزة الأولى: أن أهل السُنة لا يأخذون معتقداتهم إلا من الكتاب والسُنة فقط؛ فليس لنا مصدر نتلقىٰ منه العقائد إلا كتاب ربنا وصحيح سُنة نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فنحن لا نعتمد في إثبات عقائدنا علىٰ مجرد عقولنا!! لا، كما فعله الفلاسفة، ولا نعتمد في عقائدنا علىٰ المرويات الواهية والأحاديث المُنكرة الموضوعة والمكذوبة، كما فعله الرافضة مع أهل البيت، ولا نعتمد في إثبات عقائدنا علىٰ أذواقنا، وعلىٰ المكاشفات والرؤىٰ والمنامات والأحلام، كما فعله الصوفية.

فليس لنا مصدرًا نتلقىٰ منه العقائد إلا كتاب الله جَلَّ وَعَلَا وصحيح سُنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك مَن اعتصم بالكتاب والسُنة فقد فاز ونجح وأفلح، وأما مَن تخلف عن ركب الكتاب والسُنة فقد خاب وخسر.

ولقد أمرنا اللهُ جَلَّ وَعَلَا في كتابه الكريم ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سُنته الشريفة المطهرة بالاستمساك بالكتاب والسُّنة، يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [الأعراف:١٧٠]، ويقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الزخرف:٤٣]، ويقول الله جَلَّ وَعَلَا في آيات كثيرة: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ [التغابن:١٢]؛ أي

خذوا بالكتاب والسُنة، لأن طاعة الله تقتضي الأخذ بالكتاب، وطاعة الرسول تقتضي الأخذ بالسُنة، وهذا في آيات كثيرة.

ويقول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾[الأعراف:١٥٧]، الآيتين آمرة بمتابعة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وأما الأحاديث في هذا الباب فهي كثيرة، وسيأتينا طرفٌ منها إن شاء الله في آخر المنظومة، عند شرحنا لقواعد البدع عند أهل السُنة والجماعة إن شاء الله.

الشاهد: أن الآيات والنصوص من الكتاب والسنة قد تضافرت، علىٰ أنه لا يجوز للإنسان أن يأخذ معتقداته إلا من الكتاب والسُنة، وهذا من أعظم ما تميز به أهل السُنة والجماعة عن غيرهم من سائر الطوائف؛ فسائر الطوائف الأخرىٰ لا تأخذ عقائدها من الكتاب والسُنة، لا الجهمية، ولا المعتزلة ولا الخوارج ولا الرافضة ولا الماتريدية ولا الكُلابية، ولا غيرها من الطوائف، فهؤلاء لا يأخذون من الكتاب والسُنة أبدًا، بل إنهم يعتقدون أن الكتاب والسُنة إنما هي ظواهر لا يجوز اعتقاد ظاهرها، وأن مَن اعتقد ظواهر الكتاب والسُنة فإنه كافرٌ مرتد عند هؤلاء؛ فهم يحملون الكتاب والسُنة علىٰ معاني غريبة، ويسلبون من ألفاظ الكتاب والسُنة الدلالات الصحيحة ويُدخلون مكانها تلك الدلالات الباطلة الزائفة التي تدخل في مسمىٰ التحريف؛ فهم يُحرفون الكلم عن مواضعه كما فعله مَن قبلهم من اليهود والنصارىٰ.

فينبغي لنا أن نحقق هذا الأصل، وأن نؤمن به، وأن نثبُت عنده، وأن نقطع به وأن نجزم به، وهو أن مسائل الاعتقاد لا يحصل فيها الهداية إلا إذا أخذناها من كتاب الله جَلَّ وَعَلَا وسُنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في «الصحيحين» من حديث عائشة: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ»**(١)، وفي «صحيح الإمام مسلم»: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»**(٢).

وفي «صحيح الإمام مسلم» من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: **قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»**(٣).

وفي حديث العرباض بن سارية عند أبي داوود وغيره بسند حسن صحيح، يقول: **قال: وعظنا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موعظة بليغة، إلىٰ أن قال في الحديث: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي - هذا هو الشاهد - وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ**

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ] (٣/ ١٨٤) برقم: [٢٦٩٧]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ] (٣/ ١٣٤٣) برقم: [١٧١٨].

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [النَّجْشِ، وَمَنْ قَالَ: «لاَ يَجُوزُ ذَلِكَ البَيْعُ»] (٣/ ٦٩)، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ] (٣/ ١٣٤٣) برقم: [١٧١٨].

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ] (٢/ ٥٩٢) برقم: [٨٦٧].

الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ»(١).

وكما قال الناظم:

واعضض علىٰ القرآن والسُنن التي... ثبتت عن المعصوم من عدنان

لا لن تضل ولن تزيغ بنصه... فهي الهدىٰ والنور للإنسان

فلا سلامة لنا ولا فلاح، ولا خير ولا بر ولا هدىٰ، إلا بالاستمساك والتواصي بالأخذ بكتاب الله جَلَّوَعَلَا وسُنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فإن قلت: هل يكفي الأخذ بالكتاب والسُنة للهداية؟

نقول: لا يكفي الأخذ بالكتاب والسُنة، بل لا بد أن تقرنه مباشرة بالأصل الثاني.

الأصل الثاني: أن نفهم الكتاب والسُنة على فهم سلف الأمة:

فلا نحيد عن سلف الأمة يمينًا ولا شمالًا.

ولذلك عندنا قاعدة في هذا الباب تقول: كل فهمٍ يخالف فهم سلف الأمة في مسائل العقيدة والعمل، فإنه باطل لا يجوز الأخذ به.

ولذلك نحن نبطل العقائد بأنها مخالفة لفهم السلف، ونعني بـ **(السلف)**: صحابة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والتابعين وتابعيهم، أهل القرون المفضلة

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٨/ ٣٧٣) برقم: [١٧١٤٤]، وأخرجه ابن ماجه في «سننه» باب: [اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ] (١/ ١٥) برقم: [٤٢]، وأخرجه أبو داود في «سننه» باب: [فِي لُزُومِ السُّنَّةِ] (٤/ ٢٠٠) برقم: [٤٦٠٧]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٤٩٩) برقم: [٢٥٤٧].

المشهود لهم بالخيرية والفضل في قول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِۦوَسَلَّمَ كما في «الصحيحين»: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[(١)] **الحديث**، فلا ينتفع العبد بالأخذ بكتاب الله وسُنة نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلا إذا كان سائرًا علىٰ فهم سلف الأمة، وإن الطوائف قد تستدل علىٰ بدعتها أحيانًا بشيء من القرآن والسُنة، مثال ذلك:

المثال الأول: إن الصوفية (نسأل الله لهم الهداية) يستدلُّون علىٰ جواز الدعاء والاستغاثة بالنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عند قبره بالقرآن.

فإن قلت لهم: هذا شرك!!

قالوا: كيف يصير شرك، وقد دل عليه القرآن؟!!

نقول لهم: أين ذلك؟

قالوا: ألم تسمع إلىٰ قول الله جَلَّوَعَلَا في سورة النساء: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤].

- **فكيف الرد على شبهتهم ؟**

نقول: هذه آية من كتاب ربنا، ولا نُشكك في سندها، لكن نُشكك في

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [لاَ يَشْهَدُ عَلَى شَهَادَةِ جَوْرٍ إِذَا أُشْهِدَ] (٣/ ١٧١) برقم: [٢٦٥٢]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ] (٤/ ١٩٦٣) برقم: [٢٥٣٣].

فهمك لها، إذ لا يُقتصر علىٰ الأخذ بالكتاب والسُنة فقط، لا، بل لا بد أن نفهم الكتاب والسُنة علىٰ ما فهمه سلف الأمة، وإلا فوالله العظيم سوف نفتح بابًا عظيمًا لأهل البدع حتىٰ يستدلوا بالكتاب والسُنة علىٰ ما يشاؤون من بدعهم.

ولو رجعنا إلىٰ فهم سلف الأمة في هذه الآية، لوجدنا أن الصحابة والتابعين وتابعيهم، وأئمة السلف إلىٰ يومنا هذا متفقون الاتفاق القطعي علىٰ أن المجيء المذكور في الآية ليس هو المجيء بعد مماته، وإنما هو المجيء في حياته؛ فهذا إجماع أهل السُنة والجماعة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

وعليه فلا يجوز للعبد أن يستدل بهذه الآية على أن المجيء للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يجوز بعد مماته للدعاء والاستغاثة، والاستغفار عند قبره، فهذا كله لا يجوز؛ لأن قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ ﴾ إنما هو مجيءٌ في حياته فقط، والدليل على ذلك: أن البلايا والمشاكل والمصائب العظيمة كانت تنزل على أصحاب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في المدينة وفي مكة، وليس بينهم وبين قبره إلا عدة خطوات، ومع ذلك ما ثبت عن أحد منهم أنهم كانوا إذا ألمَّت بهم الخطوب، ونزلت بهم الكروب كانوا يأتون إلى قبر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ويستغيثونه أو يدعون عنده، بل كانوا يتحرجون من ذلك؛ فقد كان **ابن عمر** إذا دخل المسجد: «**جاء إلى قبر النبي** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **ثم سلَّم عليه، ثم سلَّم على أبي بكر، ثم قال: السلام عليك يا أبتي**» -أي **عمر بن الخطاب** رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا -، ثم ينصرف ولا يدعو ولا يفعل شيئًا مما يفعل هؤلاء الغلاة من الصوفية وغيرهم من أهل البدع، بل إن كثيرًا من أهل العلم

-رحمهم الله- كرهوا الدعاء عند قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والشاهد: أن هذا المثال يُبين لنا أهمية قرن الكتاب والسُنة بفهم سلف الأمة.

أما المثال الثاني: فالمعتزلة يقولون: (**بأن الله لا يُرى في الآخرة، لا في عرصات يوم القيامة ولا في الجنة**)، ويُنكرون رؤية الله -والعياذ بالله-، مع أنه قد تواترت الأدلة كتابًا وسُنة بأن الله يُرى رؤية تليق بجلاله وعظمته في العرصات وبعد دخول الجنة، نسأل الله ألا يحرمنا وإياكم من هذه الرؤية.

ونرى الإله حقيقة يوم القيا... مة مرتين ورؤية بعيان

فنراه يوم الحشر في عرُصاته... ونراه بعد دخولنا بجنان

فالمعتزلة، كشروا عن أنيابهم، وقالوا: (**أبدًا، الله لا يُرى في الآخرة**)، واستدلوا ــ عياذًا بالله - بالقرآن!، فقالوا: في قول الله جَلَّ وَعَلَا في سورة الأعراف: ﴿ **وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى** ﴾ [الأعراف:١٤٣] ﴿ **لَن تَرَىٰنِى** ﴾، فهذا نصٌ صحيح قاطع بأن الله لا يُرى).

ويُجاب عن هذا القول: بأن الصحابة مُجمعون على: (**أن نفي الرؤية هنا، إنما هو في الدنيا لا في الآخرة**)، فهم مُجمعون الإجماع القطعي، بأن الله جَلَّ وَعَلَا لا يُرى رؤية عيانٍ يقظة في الدنيا؛ ليس لأنه لا يُرى؛ وإنما لضعف الأبدان والقوى والمدارك العقلية عن تحمل رؤيته لكبره وعظمته جَلَّ وَعَلَا.

ولذلك لمَّا طلب **موسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ من الله أن يراه، قال: ﴿ **قَالَ لَن تَرَىٰنِى** ﴾، لا تستطيع أن تراني في هذه الدنيا، وأنت على ضعفك وعجزك، وأراد الله

جَلَّوَعَلَا أن يستدل له ببرهان قطعي محسوس، **وهو أن ينظر إلى الجبل، هذا الذي هو أقوى منك وأشد منك وأرسى منك في الأرض، سوف أتجلى له**، فلمَّا تجلى له تجليًا يليق بجلاله وعظمته فاندكَّ الجبل، وصار ترابًا بعد أن كان حجرًا، فلمَّا رأى موسى ما حصل للجبل **خر موسى صعقًا، فكيف إذا رأى الله** جَلَّوَعَلَا**!؟، والذي بسبب رؤيته وتجليه حصل للجبل ما حصل.**

وأما رؤية الله جَلَّوَعَلَا **في الجنة، فتكون بعد كمالنا بجوارحنا، فالله** جَلَّوَعَلَا **يُكمل جوارحنا بقوتها، ويُكمل عقولنا بإدراك، حتى تستطيع عقولنا وجوارحنا أن تنظر إليه** جَلَّوَعَلَا، **وإلا فإن «حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ - النَّارُ لو كشفه لأحرقت سبحات وجه ما انتهى إليه بصره من خلقه»**(١)

فإن قلت: لماذا أهل الجنة يرون الله جَلَّوَعَلَا **ولا يحترقون؟**

الجواب: لأنه سبحانه وتعالى أضفى عليهم القوة العظيمة التي بها يتحملون رؤيته جَلَّوَعَلَا بدون أي مفاسد، فإذًا قوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ نفيٌ للرؤية في الدنيا وليس في الآخرة، أما فهمه على أنه نفيٌ للرؤية في الدنيا والآخرة؛ فهذا فهم المعتزلة، والواجب هو فهم الكتاب والسنة على فهم السلف، ولو أننا أبعدنا فهم السلف عن الكتاب والسُنة؛ لفتحنا أبوابًا عظيمة لأهل البدع يستدلون بها من الكتاب والسُنة، لأنه كما قال **عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إن الكتاب**

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللهُ لَا يَنَامُ، وَفِي قَوْلِهِ: حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ] (١/ ١٦١) برقم: [١٧٩].

حمَّال وجوه» أي أحيانًا تصير الآية عامة، وأحيانًا تصير الآية مطلقة، وأحيانًا تصير الآية مجملة، فيأتي فهم السلف، يُفسر لنا هذا.

وبئس ما ذهب إليه ذلك **المعتزلي الزمخشري في كتابه (الكشاف)**، ويقول: (**إن ﴿لَنْ﴾ تفيد التأبيد، وإن لم تُقرن به**)؛ أي بمعنى أن قوله: ﴿لَن تَرَانِي﴾ تفيد نفي الرؤية أبدًا في الدنيا وفي الآخرة. وهو معتزلي، ويقرر في (**الكشاف**) تلك الاعتزاليات ببلاغة عظيمة جدًا، ولكنها تحتاج إلى بحث حتى تُستخرج.

ويُذكرني هذا عند قول الرب جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥]، حيث يقول **الزمخشري**: (**وأي نعيم يرجوه أهل الجنة غير هذا النعيم؟**)، وهو هنا يُنكر رؤية الله جَلَّ وَعَلَا، فكتابه (**الكشاف**) يحتاج إلى إنسان يعلم مذهب أهل السنة والجماعة، ويعلم الفرق بينه وبين مذاهب المعتزلة.

يقول: (**وأي نعيم يرجوه أهل الجنة؟!! يأكلون ويشربون وعند مليك مقتدر**)، فهنا جعل أعلى وأعظم الجزاء، هو الأكل والشرب، ولم يذكر أعظم لذة في الجنة وهي لذة النظر إليه جَلَّ وَعَلَا، فهي أعظم من الثمار، وأعظم من فض الأبكار، وأعظم من القصور.

ونحن نناقش **الزمخشري** في ﴿لَن﴾: أنها لا تفيد التأبيد، حتى وإن قُرنت به لقول الله جَلَّ وَعَلَا عن اليهود والنصارى، عن اليهود في الموت، قال: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، وفي سورة الجمعة: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا﴾

[الجمعة:٧]، ومع ذلك سيتمنونه يوم القيامة في قوله: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧]، فإذًا ﴿لَن﴾ لا تفيد التأبيد وإن قُرنت به.

ولذلك عقدها **ابن مالك** -رحمه الله تعالى- في (**الخلاصة في ألفيته**) بقوله:

ومَن يرى النفي بـ لن مؤبدا... فقوله اردد وسواه فاعضدا

أي أن مَن يرى النفي بـ (**لن**) يفيد التأبيد، فهذا قول مردود عند العرب، و(**سواه فاعضدا**) أي القول الذي يفيد بأن (**لن**) لا تفيد التأبيد.

ويُجاب عن هذا القول: بأن فهمهم هذا يُخالف فهم السلف.

والقاعدة تقول: (**كل فهم يخالف فهم سلف الأمة فإنه باطل**)، وعليه، فإن فهمهم هذا غير مقبول أبدًا (**فإنه باطل**) فبهذه الأصول نفهم العقيدة.

أما المثال الثالث: فإن المعتزلة يعتقدون أن القرآن مخلوق؛ وقد أجمع عامة السلف - رحمهم الله تعالى- على: (**أن مَن قال بأن القرآن مخلوق فإنه كافر**)، مرتد؛ لأننا نعتقد أن القرآن كلام الله مُنزَّلٌ غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

واستدل المعتزلة على هذا القول بأنهم قالوا: الله تعالى يقول: في سورة الشعراء: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء:٢] في سورة الأنبياء: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء:٢]، فقالوا: (﴿مُّحْدَثٍ﴾ **معناه مخلوق**).

وقول أهل السنة والجماعة هو: أن تفسير المعتزلة للآية خطأ، فهم

يفهمون أن ﴿مُحْدَثٍ﴾ هنا بمعنى (**مخلوق**)، وهذا الفهم باطلٌ بإجماع أهل السُنة والجماعة؛ لأنهم يُفسرون ﴿مُحْدَثٍ﴾ هنا بمعنى شيء جديد لم تسمعه آذانهم من قبل؛ لأن القرآن كان ينزل تباعًا مُنجمًا حسب الحوادث، فكلما جاءتهم آية لم يسمعوا بها من قبل، قابلوها بالتكذيب والإعراض والجحود.

بل إن معنى قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء:٢] أي (**جديد**)؛ فإذًا المُحدَث ضد القديم، وهذا بإجماع الصحابة، وبإجماع المُفسرين، وبإجماع الفقهاء، وبإجماع أهل السُنة والجماعة.

لكن شذَّت هذه الطائفة الضالة في عقولها البعيدة عن الحق والهدى وقالوا: (**إنه بمعنى مخلوق**).

وهناك الكثير من الناس يُشكك في قاعدة: (**كل فهم يخالف فهم سلف الأمة فإنه باطل**) بحجة أنه زمن ومضى، ونحن في القرن الحادي والعشرين، فيقول: هم رجال ونحن رجال، ولهم فهمهم ولنا فهمنا.

فيريدون أن يجعلوا فهم الناس لكتاب الله تبعًا لمقتضيات العصر، وهذا خطأ، وخلل كبير جدًا، وهذه دعوة لا نقبلها، ونحن نرفضها ونردها ردًا تامًا، بل يجب على الأُمة أن تكون متبعة لسلفها الصالح في فهم كتاب الله، وفهم سُنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولتعلم الأُمة أنه لا خير لها ولا صلاح إلا إذا كانت سائرة على فهم السلف الأول.

ولذلك لمَّا وصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفرقة الناجية، قال هم: «**من كان**

على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[1]، فلا فوز ولا نجاة في الدنيا من الشُبهات والشهوات، ولا فوز ولا نجاة في الآخرة بعاليَ الجنات إلا أن نكون على وفق ما كان عليه **النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه في العقيدة والفهم والعمل.

والسلف هم أكمل الأُمة عقولًا، وأزكاها قلوبًا، وأعمق الأُمة علمًا، وأكملُها فضلًا، وأعرفُها بمدارك التنزيل، ومعاني التأويل، قومٌ تخرَّجوا من مدرسة **محمد** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا كان ولا يكون مثلهم أبدًا.

الأصل الثالث: يقول: (مَنع العقل من التوغل في إدراك ما وراء الغيب):

أي حجب العقول وقطع الطمع في التعرف على أمور الغيب، وعبِّر عنها كيفما تشاء.

أي لابد أن نحجب عقولنا في الدخول في أمور الغيب، إلا في حدود ما أجازه النص فقط؛ لأن العقيدة الإسلامية مبناها على أشياء غيبية.

فليس من المفروض أن نؤمن بالأشياء المحسوسة فقط، ولكن **الإيمان مبناه بأن تؤمن بأشياء غائبة عنك.**

فالعقيدة الإسلامية مبنية على الإيمان بالله، وهو غائبٌ عن الأبصار جَلَّ وَعَلَا، والإيمان بأسمائه وصفاته، وهي من باب الغيب، والإيمان بالملائكة، والإيمان باليوم الآخر وحقائقه وتفاصيله، الإيمان بالجنة والنار وما فيهما من النعيم والعذاب، الإيمان بعذاب القبر وسؤال القبر ونعيمه

---

(١) «شرح صحيح مسلم» باب: [العبادة على علم وبصيرة] (٧٨/ ٢١).

والجزاء والحساب، وتطاير الصحف، هذه كلها من أمور الغيب، فلا ينبغي تعويد النفس على إدخال العقل، وطلب كشف أمور الغيب دائمًا؛ لأنه ما ضل مَن ضل في باب العقيدة إلا لأنهم أدخلوا عقولهم الضعيفة في هذه الغيبيات الواسعة.

فإدخال العقل في باب الغيبيات من أعظم أبواب الضلال، فإذا أخبرك النص الصحيح بشيءٍ، فليس أمامك إلا أن تقول: «سمعنا وأطعنا وآمنا وصدقنا وسلَّمنا»، وأن تؤمن إيمانًا جازمًا مع ذلك أن النصوص لا تأتي بما يتعارض مع العقل، ولكنها تأتي أحيانًا بما يحار فيه العقل؛ لأن عالم الغيب أوسع من مدركات العقول.

فالله جَلَّ وَعَلَا لمَّا خلق هذا العقل، جعل له حدودًا وطاقاتٍ، ولا يزال تفكير العقل سليمًا ما دام داخل حدود مدركاته وطاقاته، لكن متى ما أخرجه الإنسان عن هذه الحدود، فإنه يتعطل، ولا يرجع للإنسان إلا بخُفي حُنين، بل لا أظنه أصلًا أن يرجع بخُفي حُنين، فلن يرجع إلا بالشُبه والشكوك والخيالات والأوهام الفاسدة.

ومثال ذلك: الجوال، فتجد له منطقة استقبال، لكن متى ما أخرجت الجوال عن منطقة استقباله؛ ضل هذا الجوال ولم يستطع أن يستقبل شيئًا.

فكذلك العقل، فالله جَلَّ وَعَلَا لمَّا خلق العقل، جعل له منطقة استقبال، وهي الأشياء التي تدخل تحت مدركاته وطاقاته، لكنك لو أخرجته عن منطقة استقباله إلى منطقة أخرى، فإنه سوف يتعطل ويتوقف.

فمنطقة الغيب، امنع العقل من الدخول فيها لتسلم في عقيدتك سلامة لا

مزيد عليها.

ولذلك ما حُرِّفت صفات الله إلا لأن هؤلاء الطوائف أدخلوا عقولهم في استكشاف صفات الله جَلَّوَعَلَا، وما أُنكر عذاب القبر إلا لمَّا أُقحم العقل فيه، ولا أُنكر سؤال القبر ونعيمه، ووجود الجنة والنار، ولا أُنكر وجود الملائكة، ولا أُنكر وجود الجن إلا لمَّا أُقحم العقل فيه، فهذه أبواب غيبية، ما خُلق العقل مهيئًا لإدراكها.

فليس أمام عقلك تجاه ذلك الغيب إلا أن يقول (**آمنا وصدقنا وسلَّمنا واتبعنا وفوضنا أمرنا إلى الله**) ولابد من منع وإحجام هذا العقل من التوغل أو الدخول في شيء من أمر الغيب إلا في حدود النص فقط.

وهذه هي العقيدة: أن لا تأخذ معتقدك إلا من الكتاب والسُنة، وأن يكون على فهم سلف الأُمة، وأن تمنع عقلك من التوغل في الغيبيات.

فهذه هي الأصول الثلاثة العامة التي ينبغي الإيمان بها قبل أن نبدأ في دراسة أي عقيدة.

فينبغي على طالب العلم، والعالم أو الشيخ الذي يُربي طلابه أن يعلمهم الإيمان بهذه الأصول الثلاثة قبل أن يدخل بهم في تفاصيل أكثر؛ لأننا إذا آمنَّا بهذه الأصول الثلاثة (**الركائز العظيمة العقدية**) فسوف نشرح العقيدة الإسلامية في يومٍ واحد، فالعقيدة سهلة، لكن المشكلة في إقناع الطلاب ببعض العقائد.

لكن إذا اتفقنا على الأصول الثلاثة، فحينئذٍ أي عقيدة أثبتها الكتاب

والسُنة فالواجب الإيمان بها على فهم سلف الأُمة.

مثال: كشف الله لنا أن له سمعًا، لكن سكت عن كيفية بيان هذا السمع، فنقف عند حدود الغيب كما أوقفه النص فنقول لله سمعٌ، لكن الكيفية هذه مسألة غيبية لم يبينها لي النص، فأنا لا أتوغل فيها، لأنني لن أدرك فيها شيئًا.

وفي مسألة القبر، كشف لنا الشرع من مسائل القبر أشياء غيبية، أن الميت يُقعد في قبره، قال: «**فيأتيانه فيُجلسانه**»، فلو قال قائل: لو شققنا عن القبر لنرى حال الميت هل هو على ما وضعناه عليه أم هو جالس؟ أسيكون مضطجعًا على جنبه الأيمن أم لا، حينئذٍ هذا الحديث كذب.

نقول: إذا كذبت بالحديث فأنت أدخلت عقلك في مسائل الغيب، وجعلت عقلك مقياسًا لهذه المسائل.

فالقواعد عند أهل السنة والجماعة في الصفات أننا نعلم ما غاب عنا باعتبار معناه، ونجهله باعتبار كيفيته.

فالله جَلَّوَعَلَا سمى نعيم الآخرة بنعيمٍ يتفق مع نعيم الدنيا حتى نفهم ما الموجود في الآخرة، كذلك هنا فإنه يُعلم باعتبار معنى السؤال، ولكن كيفية وقوع هذا السؤال هذا ما نجهله ويجب أن نقف عليه.

فنحن نعلم ما غاب عنا باعتبار معناه، ولكن باعتبار كيفيته وحقيقته لا يعلمه إلا الله.

فقولنا في **القاعدة الثالثة**: (**منع العقل من التوغل فيما وراء الغيب**)، معناه: أن تحاول تستكشف حقيقة هذا الشيء، أو كيفية هذا الشيء من غير دليل،

وهذا لا يستطيع عقلك أن يُدركه.

فإن قلت: أيهما أعظم وأكبر، عالم الغيب، أم عالم الشهادة؟

نقول: أن ما غاب عنك هو الأعظم والأكبر، ولذلك دائمًا يبدأ الله به في الاستدلال على ألوهيته وربوبيته في قوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الرعد:٩] فدلالة ربوبيته بعلمه للغيب أكبر من دلالته على ربوبيته بعلمه للشهادة؛ لأن ما غاب عنك أمرٌ أكبر بكثير، وإنما ما أنت تشاهده إنما هو نقطةٌ صغيرة كحبة رمل في صحراء كبيرة في هذا الغيب.

وبعد هذه الأصول والركائز التي يجب علينا اعتمادها والمصير إليها وأخذها بالاعتبار عند دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة، نبدأ مستعينين بالله تعالى شرح كلام شيخ الإسلام في لاميته، طالبين من الله التوفيق والسداد والقبول وحسن القول والاعتقاد والعمل .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وعَقِيدَتِي... رُزِقَ الهُدَى مَنْ لِلْهِدَايَةِ يَسْأَلُ

اسْمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ فِي قَولِهِ... لاَ يَنْثَنِي عَنْهُ وَلاَ يَتَبَدَّلُ

قول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأجزل له الأجر: (يا سائلي)، هذا دليلٌ على أن هذه المنظومة ما أُلفت ابتداءً، وإنما أُلفت إجابة سؤال: أن رجلًا من الناس أراد أن يتعرف على عقيدة أهل السُنة من شيخ الإسلام **ابن تيمية** رحمه الله وكلامه، فوجه سؤالًا **لأبي العباس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فأجابه **أبو العباس** بهذه الأبيات.

وهذه غالب مؤلفات **أبي العباس ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه غالبًا ما يؤلفها إجابة عن سؤال موجه إليه.

ولما أجاب **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالنظم فإن هذا يدل دلالةً صريحةً على أنه سُئِل بالنظم؛ لأنه جرت عادة **أبي العباس بن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه إذا سُئل بالنثر؛ أجاب بالنثر، وإذا سُئل بالنظم؛ أجاب بالنظم.

ولم يكن الشعر ذا أهميةٍ واهتمام كبير في حياة **أبي العباس** ولكنه كان لا يعجزه أن ينظم الشعر، فبعض الناس شاعر، ولكنه لم يتفرغ للشعر، ولا يأبه به إلا إذا جاءه طوارقه وأسبابه، وقد ورد لشيخ الإسلام مشكلة رجل من النصارى سأله عن مشكلةٍ قدرية، يسمونها **(التائية في القدر)**، سأله عليها في أبياتٍ عن مشكلةٍ يُقال لها المشكلة القدرية أي كيف الله جَلَّ وَعَلَا يُقدر عليّ الذنب، ثم يُعذبني عليه؟ فهذه المسائل التي سوف نتكلم عنها في باب القدر إن شاء الله، والشاهد: أن **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثنى رجليه، وكتب قصيدةً كاملةً تربو على المائة بيت، تسمى **(التائية في القدر)**، فحل المشكلة القدرية في التائية، وقد شرحها بعض أهل العلم.

وقد قال العلماء -رحمهم الله تعالى-: إن السؤال عدة أنواع:

فمنها سؤال الاستفهام والاستعلام، وهو المقصود به في قوله: **(يا سائلي)**، فهذا في الأعم الأغلب لا يُراد به إلا سؤال من يريد الاستعلام والعلم، والاستفسار عن الشيء، وهذا هو المأمور به في قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣].

النوع الثاني: سؤال الامتحان، وهو أن يسألك العارف بالجواب ليمتحنك، فهو لا يستعلم منك ولا يستفهم، وذلك كسؤال المدرس لطلابه في الاختبارات، وهذا هو الذي يقرره علماء المصطلح رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تعالى في

معرفة الثقة من غيره، فيُروى عن **البخاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه سُئل عن أسانيد مقلوبة، ثم أجاب عنها بتصحيحها، يقول وكانت مائة إسناد، جمعوها له وقلبوها له، فعُرضت على الإمام **البخاري** من باب الامتحان لحفظه وذكائه، وتوقد فهمه، فعدلّ الأسانيد لهم، يقول **الحافظ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس العجيب أن **البخاري** يعدل الأسانيد، العجيب كيف يحفظ مائة إسناد على خطأ! فقد عُرضت عليه في مجلس واحد مائة إسناد خاطئة، هذا يقول إسناد وهذا يقول إسناد، فلما انتهت المائة قالوا: ما رأيك ؟ فقال الإمام البخاري: أنت قلت كذا وكذا وصوابه كذا وكذا، وأنت قلت كذا وكذا وصوابه كذا وكذا، فهذا يسمونه سؤال الامتحان.

ومنه سؤال منكر ونكير لأهل القبر، فهذا ليس بسؤال استفهام، وإنما هو سؤال ابتلاءٍ وامتحان، وكذلك سؤال الله جَلَّ وَعَلَا يوم القيامة، سؤال ابتلاء وامتحان.

النوع الثالث: سؤال التعليم، كسؤال **جبريل** للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في قوله ما الإسلام؟ ما الإيمان؟ ما الإحسان؟ أخبرني متى الساعة؟ الحديث الطويل حديث **عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ و**جبريل** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ما أراد أن يمتحن رسول الله حاشا وكلا، ولا أراد أن يستفهم من جهل، حاشا وكلا، وإنما أراد أن يُعلم، ولذلك قال في آخر الحديث: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**» **قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:** «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينكُمْ**»(١)

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ] (١/ ٣٦) برقم: [٨].

وهذا طيبٌ نافع جدًا، وإن بعض الطلبة قد يعرف جواب مسألةٍ لكنه يسأل الشيخ عنها ليُعلم الشيخ إخوانه في الحلقة، هذا سؤال طيب، ولكن ليس من باب التعالي على الشيخ، وإنما من باب أنه يريد أن يُفقه إخوانه فيقول يا شيخ: ما رأيك في كذا وكذا، وهو عارف الجواب، لكن يريد أن يُجيب الشيخ حتى يسمع الحاضرون فيعلمهم، وهذا طيبٌ، وممدوح في الشرع.

النوع الرابع: سؤال التنطع والتعنت، كسؤال المشركين في القرآن، وهي أسئلة كثيرة، كقول الله جَلَّ وَعَلَا عنهم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [الفرقان:٦٠]، وهم مؤمنون بأن الله جَلَّ وَعَلَا هو الرحمن، ولكن المشكلة عندهم التنطع، والتعالي، والكفر، والجحود، والجدال، والمِراء بالباطل.

ومنه قول فرعون لما أمره موسى أن يؤمن برب العالمين: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء:٢٣]، مع أن الله يقول: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾ [النمل:١٤]، ويقول الله جَلَّ وَعَلَا فاضحًا نية فرعون يقول: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ ﴾ أي: يا فرعون، ﴿ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي: تلك الآيات من اليد وغيرها ﴿ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾ [الإسراء:١٠٢]، يقول: أنت تؤمن في قرارة نفسك أنها ليست مني وأنها من الله، لكن أنت تكفر في الظاهر فقط، فهذا يسمونه سؤال التنطع والتعنت.

والذي ينبغي للمسلم أن يسأل سؤال مسترشد مستفهم، أو سؤال من يُعلم غيره، وإذا قامت الأسباب سؤال الامتحان فلا حرج فيه.

قوله: **(يا سائلي عن مذهبي)**، المذهب قسمان:

١- مذهبٌ حسيٌ.

٢- ومذهب معنوي.

١- مذهبك الحسي: فهو طريقك الذي تسلكه، فأنت إذا خرجت من المسجد فسوف تسلك طريق بيتك، والمذهب الحسي أي أنك تراه بشيء من الحواس الخمس، فأنت ترى الطريق بعينيك، فهذا مذهبك الحسي، ومنه قول المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا ذَهَبَ الْمَذْهَبَ أَبْعَدَ**»(١)، أي: إذا أراد أن يقضي حاجته ذهب في طريقٍ بعيد.

والمقصود من المذهب في اللامية ليس مذهب **ابن تيمية** الحسي، وإنما يسأله عن مذهبه الثاني وهو المذهب المعنوي، وهي تلك العقائد التي يجزم بها العبد في قلبه، وينطق بها بلسانه، ويعمل بمقتضاها بجوارحه، فهذا هو مذهب الإنسان.

٢- مذهبك المعنوي: هو ما تقرر في قلبي من العلوم والمعارف، وما أنطقه بلساني منها، وما أعمل بمقتضياتها بجوارحي، وقد ذكر الله جَلَّ وَعَلَا في كتابه الكريم أن مذاهب الناس وأديانهم قد تكون حقًا صحيحةً، وقد تكون

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٠/ ١٠٦) برقم: [١٨١٧٠]، وأخرجه ابن ماجه في «سننه» باب: [التَّبَاعُدِ لِلْبَرَازِ فِي الْفَضَاءِ] (١/ ١٢٠) برقم: [٣٣١]، وأخرجه أبو داود في «سننه» باب: [التَّخَلِّي عِنْدَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ] (١/ ١) برقم: [١]، وأخرجه النسائي في «سننه» السنن الكبرى» باب: [الْإِبْعَادُ عِنْدَ إِرَادَةِ الْحَاجَةِ] (١/ ٧٩) برقم: [١٦]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/ ٨٦١) برقم: [٤٧٢٠].

باطلةً قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون:١-٦].

فإن قلت: وكيف يعرف المذهب الحق من الباطل؟

نقول: ما وافق الحق فهو حقٌّ، وما خالف الحق فهو باطل، فالمذهب الذي يُبنى على كتاب الله، وسُنة نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وفهم سلف الأمة هذا هو المذهب الحق، وأما ما عدا ذلك من المذاهب فإنها مذاهب باطلة.

وإن مذهب الإنسان ينقسم إلى قسمين:

مذهبٌ في الأصول والعقائد.

ومذهبٌ في الفروع والعمليات.

والعقائد ليس فيها مالكي أو شافعي أو حنبلي، فهذه المذاهب تكون في مسائل الفقه، أما في العقائد فتكون، سُني، مُبتدع، كافر، مؤمن، بر، فاجر.

وعقائد الأئمة كلها كما سيذكره **ابن تيمية** رَحِمَهُٱللَّهُ في البيت الذي هو قبل الأخير، إنما لبيان أن مذهب الأئمة الأربعة ينتمي إلى مذهب أهل السُّنة والجماعة.

فنحن مذهبنا في الأصول والعقائد ننتمي إلى مذهب أهل السنة والجماعة ظاهرًا وباطنًا، والأقوال والأفعال.

وأما في منهج الإنسان الفروعي العملي التشريعي، هذا يسوغ فيه الخلاف، هذا حنبلي، وهذا حنفي، وهذا مالكي، وهذا شافعي، هذا كله لا

حرج فيه، هذا من الخلاف السائغ الذي لا يُفسد للود قضية، ولا يُخرج الإنسان من دائرة الاستنان، إلى دائرة الابتداع.

قوله: (عن مذهبي)، يريد به المذهب المعنوي، والمذهب ما وافق الكتاب والسُنة وفهم سلف الأمة؛ فإنه حق، وما خالف ذلك؛ فهو باطل.

فمذهبي أنا قسمان، مذهبٌ في العقائد، ومذهب في الشرائع والفقهيات، والشيخ هنا يتكلم بلسان الجميع، أي أنا في العقائد أنتسب إلى مذهب أهل السُنة والجماعة، وبما أنه لا يجوز الخلاف في مذاهب العقيدة، فلا بد أن نتفق جميعًا على ما جاء به الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

وهنا قول الناظم (**عن مذهبي**) يُريد به المذهب العقدي.

قوله (يا سائلي عن مذهبي)، هو لا يريد مذهب **ابن تيمية** الحسي، ولا يريد مذهبه الفقهي، وإنما يريد مذهبه المعنوي العقدي، ولذلك قال بعدها: (**وعقيدتي**)، وهذا بيان للإجمال المذكور في مذهبه.

وهذا السائل يريد الحق؛ لأنه حريصٌ على معرفة مذهب أهل العلم الراسخين في العقيدة، فهذا رجل يريد الحق، وإن أعظم عالمٍ مُبرزٍ في عهد **أبي العباس** هو **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فكونه يترك علماء زمانه، ويأتي إلى أبي العباس وهو العالم المبرز في مسائل عقيدة أهل السنة والجماعة، ويسأله عن مذهبه حتى يكون متبعًا له في مذهبه، لا جرم أن هذا رجل يطلب الحق؛ لأن من الناس من لا يريد معرفة الحق ويحيد عنه.

لذلك إذا التبس على إنسان مسألة عقدية أو فقهية، فعليه أن يتقي الله فيمن يسأله، وألا يسأل إلا من يغلب على ظنه أنه أهلٌ للسؤال، سواء أفتاه بما يتفق مع نفسه، أو لا.

أما تتبع الرخص، وتتبع الشهوات، وتتبع المفتين الذين عرفوا بالتساهل في مسائل قد فصلها الدليل؛ فهذا لا يجوز، وهذا من الغش للدين؛ ولذلك يقول ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن هذا العلم دينٌ فانظروا عمن تأخذون دينكم».

فالإنسان إذا مرض ؛ فإنه يبحث عن الأفضل في علاجه، وهو علاج للبدن، لكن إذا جاءت مسألة في الدين الذي به النجاة، والسعادة، والفلاح، تجده للأسف يسأل كل من هب ودبَّ.

فمن الخطأ أن نهتم بأمور الدنيا ونحرص على السؤال على الأفضل فيها، ولا نهتم بالسؤال عن أمور ديننا، فلما رأى ابن تيمية أن السائل يهتم بأمر آخرته وأنه يريد الحق دعا له في شطر البيت الأول قال: (**رُزِقَ الهُدَى مَنْ لِلْهِدَايَةِ يَسْأَلُ**)

وهذا من آداب العالم مع طلابه، وسائليه، والمستفتين له، أن يدعو لهم إذا علم من قلوبهم أنهم يريدون الحق، مما يشرح صدورهم، ومما يقر عيونهم، ومما يُبعد الفجوة بينه وبينهم، دعاء نابعٌ من قلب رحيم مشفقٍ محبٍ لمن أمامه، وتلك الدعوات الطيبة كدعاء الوالد لولده، أقصد والدك الصلبي النسبي، ووالدك العلمي الروحي أيضًا هو الشيخ، فلك والدان والدٌ أنت خرجت من صلبه، إلى هذه الدنيا إلى نور الدنيا، ووالدٌ يُخرج من ظلمات الجهل إلى نور العلم، فكلاهما والداك، وكلاهما من حقه عليك أن

تحترمه، وأن تقدره، ومن حقك عليه أن يدعو لك، فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (**رُزِقَ الهُدَى مَنْ لِلْهِدَايَةِ يَسْأَلُ**).

فعلم منه أنه لا يريد إلا الحق، فلو كان يريد الباطل لكان ذهب إلى علماء كُثر فيهم الأشاعرة، والمبتدعة، والمعتزلة، في عهد شيخ الإسلام، لكنه تركهم جميعًا ووضعهم صفرًا على الشمال، وخصَّ **أبا العباس** في سؤاله، فلا جرم أنه يريد الحق.

ثم قال **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**اسمع**).

قوله: (اسمع): والسماع هو آلة الفهم والعلم، ولذلك الذي لا يسمع في الأعم الأغلب لا يكون عالمًا، فالصُم هؤلاء الذين لم يمن الله عليهم بنعمة السمع، ليس فيهم عالم، قد يكون منهم مبتكرًا ؛ أما العلم فلا لأن العلم مبناه على حسن السماع.

فلا تجد عالمًا إلا يسمع، ولذلك وصف الله جَلَّ وَعَلَا المشركين بعدم الانتفاع ﴿ وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ﴾ [الأعراف:١٧٩].

فآلات العلم ثلاث: قلبٌ، وعينٌ، وسمع، ومن أعمل هذه الجوارح الثلاثة في طلب العلم فسوف يُحصل هذه الطرق الثلاثة، ولذلك يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾، نفى عنهم العلم، ثم بين لهم وسائل التعلم فقال: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل:٧٨]، فالعلم يكون باستغلال هذه الجوارح الثلاثة فيحصل الإنسان على العلم، وإذا اختلت واحدةٌ منها فربما

يتخلف عنه من العلم ما يتخلف.

وأما البصر- فسبحان الله - لا يؤثر في عدم التحصيل العلمي كثيرًا، فكم من العلماء من هو أعمى البصر، لكنه منفتح البصيرة، لكن المشكلة في فقد السمع، فمن فقد السمع فإنه لا يكون في الأعم الأغلب عالمًا.

قوله: (**اسْمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ**): والمحقق: هو العالم الذي بلغ في العلم منتهاه، يقول **ابن تيمية**: اسمع كلام من حقق مسائل أهل السنة والجماعة بأدلتها وكلام أهل العلم فيها حتى بلغ الرتبة العالية، وقد حققت هذه المسألة بمعنى: أنني راجعتها كثيرًا ونظرت فيها كثيرًا حتى بلغت فيها مرحلةً عالية.

فإن قلت: في قوله (اسْمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ فِي قَولِه)، أليس هذا الكلام فيه تزكية للنفس والإنسان مأمور بأن يتواضع إلى ربه، وألا يُزكي نفسه، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النجم:٣٢]؟

الجواب: أن مدح النفس بما فيها جائزٌ للمصلحة الشرعية، كقول يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عليه وعلى نبينا أزكى الصلاة وأتم التسليم: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥]، لأنه ليس ثمة حفيظ عليم ولا عارفٌ بهذه المسائل في زمنه إلا هو، فإذا كان هذا المنصب لا يصلح له إلا هذا الرجل، فحينئذٍ لا حرج عليه أن يُزكي نفسه في علمه، وأن يُزكي نفسه في فهمه وذكائه، بأن يقول أنا معي دكتوراه، ومعي كذا وكذا، فلا حرج عليه في ذلك إذا كان ذلك محققًا للمصلحة الشرعية.

أما إذا كان مبدأها الفخر ورؤية الذات والغرور، فهذا لا يجوز، فإذا كان

مبدأها التعريف بالنفس من باب تحقيق المصالح الشرعية فهذا لا حرج فيه، **فابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يريد أن يُطمئن قلب السائل ويبين له: أنت لم تأت إلى رجلٍ من صغار العلماء وإنما أتيت إلى رجلٍ محققٍ في قوله، فكل ما أعطيه لك من العقائد ما جاء عندي بمجرد قراءة كتابٍ أو كتابين أو الجلوس عند عالم أو عالمين، لا وإنما حققته تحقيقًا بالغًا حتى عرفت طريق الحق من الباطل فيه، وهذا لا حرج فيه.

ومثل هذا قول عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا لما جاءها أبو موسى لما اختلف المهاجرون والأنصار فيمن جامع زوجته ولم يُنزل، فقال الأنصار: لا غُسل عليه، وقال المهاجرون: بل عليه أن يغتسل، فقالوا يا أبا موسى اذهب إلى عائشة وأخبرنا بالخبر؛ -لأنها صاحبة الخبر في مثل هذا-، فقالت عائشة: «**على الخبير سقطت، قال النبي** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ «**إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الْأَرْبَعِ وَمَسَّ الْخِتَانُ الْخِتَانَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ**»(١).

والشاهد قولها رَضِيَٱللَّهُعَنهَا «**على الخبير سقطت**» أي أنها تعرف حقيقة تلك المسألة، فقولها هذا ليس من مدح النفس المنهي عنه، أما أن يتعالى الإنسان بلا تحقيق مصالح شرعية فإن هذا لا يجوز.

قوله: (**اسْمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ لاَ يَنْثَنِي عَنْهُ**)، المراد: لا يتراجع عن هذا القول، ويثبت على هذا القول حتى يقبضه الله جَلَّوَعَلَا، وهذا الثبات مبناه أن هذه العقيدة مبنيةٌ على ثوابت الكتاب والسُنة، الذي لا يتغير بتغير

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [نَسْخِ الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ وَوُجُوبِ الْغُسْلِ بِالْتِقَاءِ الْخِتَانَيْنِ] (١/ ٢٧١) برقم: [٣٤٩].

الأزمنة والعصور، فهذه ميزة من ميزات مذهب أهل السُنة.

فبالرغم من كثرة الفتن التي عصفت بأهل السُنة والجماعة على مر العصور، إلا أنه لم يتغيروا؛ لأنهم بنوا عقائدهم على ثوابت راسخة من الكتاب والسُنة.

وهذه خصيصة من خصائص أهل السُنة والجماعة، لا يتميز بها أي أحد من المذاهب، فالمعتزلة كانوا على منهجٍ ثم غيروا مناهجهم حتى تعددت فرقهم، فتغيرت مذاهبهم، والخوارج كانوا على مذهبٍ ثم تعددت فرقهم حتى صارت إباضية، حرورية فهذا التبدل والتغير والزيادة والنقص؛ لأنهم لم يبنوا عقائدهم على ثوابت الكتاب والسُنة.

فالرافضة كانوا فرقةً واحدة، ثم الآن أكثر من ثلاث عشرة فرقة، كالنصيرية، الإسماعيلية.

المعتزلة، لماذا انقسموا؟ ولماذا تفرقوا في عقائدهم؟! لماذا تفرقوا في دينهم؟! حتى صار بعض الروافض يُكفر بعض الروافض، وبعض الصوفية يُكفر بعض الصوفية، وبعض المعتزلة يُكفر بعض المعتزلة، بعض الإباضية يُكفر بعض الإباضية، بالرغم من انتسابهم لمذهب واحد؛ لأنهم ما بنوا تلك العقائد التي اعتقدوها في قلوبهم، ونطقوها في ألسنتهم، على هدي الكتاب والسُنة.

أما أهل الكتاب والسنة فعقيدتهم واحدة وثابتة من زمن السلف الصالح إلى وقتنا هذا، قُرابة ألف وأربعمائة سنة، أي أربعة عشر قرنًا، ومع ذلك عقيدتنا في الله هي نفس العقيدة، عقيدتنا في القرآن هي نفس العقيدة، عقيدتنا

في الأسماء والصفات هي نفس العقيدة، عقيدتنا في الصحابة نفس العقيدة، سبحان الله ما تغيرت ولا تبدلت؟ نعم، ما نثني عنها، ما نتراجع عن هذه العقيدة، ولا نرضى بغيرها؛ لأن تلك العقائد ما دخلت في قلوبنا إلا على ثوابت الكتاب والسُنة.

فالله جَلَّ وَعَلَا قضى بأنه يحفظ كتابه، وحفظ الكتاب حفظٌ للسُنة، وحفظ الكتاب والسُنة حفظٌ لعقيدة سلف الأمة، فلا يدخلها التبديل، ولا يدخلها التغيير، ولا يدخل عقيدتنا الزيادة، ولا النقص، ولا التراجع، ولا التحريف، ولا أي شيء أبدًا؛ لأنها مبنية على ثوابت راسخة في الكتاب والسنة.

فأنت قد ترى بيتًا عمره أربعمائة سنة لم تغيره الرياح، ولا الأمطار، ولا العواصف، ولا الرطوبة؛ لأن قواعده راسخة ثابتة، فكلما كان البناء على القواعد ثابتًا لا يتزعزع لا تضره متغيرات ولا مجريات الزمان.

ولذلك صدق **أبو العباس**: (**لاَ يَنْثَنِي عَنْهُ**)؛ لأن تلك العقائد التي سأذكرها لك أيها السائل ما جاءت من ميراث أبي، ولا ميراث أمي، وإنما جئنا بها على ثوابت الكتاب والسُنة، فبما أنها مبنية على شيء ثابت فالمتقرر أن المبني على الثابت ثابت لا يتبدل ولا يتغير، نسأل الله أن يثبتنا وإياكم على الصراط المستقيم.

ولذلك من أسباب الثبات عند الموت اعتقاد أهل السُنة والجماعة؛ لأنك كنت في حياتك ثابتًا على هذا المعتقد؛ فجزيت عند مماتك بالثبات؛ فمن عاش على شيء، فإنه يموت عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جرت سُنة الكريم أن من عاش على شيءٍ مات

عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه».

فنحن عشنا على تلك العقائد الثابتة التي لا تتبدل ولا تتغير ولا تتزعزع، ولا تعصف بها مجريات الزمان، ولا متغيرات المكان، ولا عواصف الفتن، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يثبتنا على دينه إلى أن نموت، وأن يرزقنا الشهادتين عند الممات.

أما المتبدلون المتحولون، المغيرون دائمًا، فهؤلاء هم الذين يُحرمون من النطق بالشهادة عند الموت؛ لأنهم ما ثبتوا في حياتهم، فحُرموا الثبات عند مماتهم.

فأسأل الله جَلَّوَعَلَا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا واسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى، أسأله بكل اسم هو له سمى به نفسه، أو أنزله في كتابه، أو علمه أحد من خلقه، نبتهل إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يثبتنا وإياكم على الحق حتى نلقاه يا رب العالمين.

فعلينا أن ندعو الله كثيرًا فالفتن الآن كثيرة، تخيل أنك بين أنياب أسد، إذا فررنا من هذا الناب، سوف يضرب رؤوسنا ناب آخر، فليس ثمة أحد يثبت في هذا الزمان إلا من أراد الله به خيرًا، يقول الله جَلَّوَعَلَا عن نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٣]، والخطاب هنا مع الرسول، يقول الله له: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٤]، فإذًا كان الرسول على عظم إيمانه، وقربه من الله، وعلو منزلته عند ربه يحتاج إلى أن يدعو بالثبات فكيف بنا نحن المقصرون؟ نحن

المفرطون، ونحن البعيدون عن ربنا بكثرة ذنوبنا وخطايانا؟

ففي «صحيح الإمام مسلم» من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **«إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يَصْرِفُها حَيْثُ يَشَاءُ»**، ثم يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ اصْرِفْ قُلُوبَنَا إِلَى طَاعَتِكَ»**(١) سبحان الله وهو رسول الله؟ نعم وهو رسول الله ويحتاج إلى أن يثبته ربه.

والقاعدة عند أهل السُنة تقول: (إن العبد مفتقرٌ إلى الله الافتقار الذاتي، والله هو الغني عن العبد الغنى الذاتي)، فمهما بلغ العبد في إيمانه وتقواه وعبادته لله فلا يزال هو ذلك العبد الضعيف المفتقر فقرًا ذاتيًا إلى الله جَلَّ وَعَلَا في ثباته، وفي دلالته على الخير، وفي توفيقه لكل هدى، فلا يُمكن أن نستغني عن الله طرفة عين، حتى الأنبياء لا يستغنون عنه سبحانه، وفي الحديث: **«فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»**(٢)، نسأل الله أن يثبتنا.

فشيخ الإسلام يُنبئ عن ميزة من ميزات عقيدة أهل السُنة والجماعة،

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [تَصْرِيفِ اللهِ تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ] (٤/ ٢٠٤٥)، برقم: [٢٦٥٤].

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» باب: [حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث] (٣٤/ ٧٥) برقم: [٢٠٤٣٠]، وأخرجه أبو داود في «سننه» (٩/ ٢١٢) برقم: [١٠٣٣٠]، وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» باب: [من اسمه خالد] (٤/ ٤٣) برقم: [٣٥٦٥]، حسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١/ ٦٣٨) برقم: [٣٣٨٤].

وهي قوله: (لاَ يَنْـثَنِي عَنْـهُ وَلاَ يَتَبَـدَّلُ) لأنـه بنى تلـك العقائـد على ثوابـت الكتاب والسُنة ومن بنى عقيدته على ثابت فهو ثابت.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

حب الصحابة كلهم لي مذهب... ومودة القربى بها أتوسل

ولكلهم قدر علا وفضائل... لكنما الصديق منهم أفضل

أقول وبالله التوفيق:

هـذان البيتـان فيهمـا جُمـل مـن المسـائل، وخلاصـتها عقيـدة أهـل السـنة والجماعة في أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

- **المسألة الأولى: ما تعريف الصحابي؟**

أقـول: التعريـف المختـار عنـد علمـاء الحـديث رَحِمَهُمُ اللَّهُ في الصـحابي أن نقـول: «كـل مَـنْ لقـي النبـي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياتـه مؤمنًـا بـه، ومـات علـى الإسلام»، إذًا مَنْ توفرت فيه هذه الشـروط الثلاثـة فهـو صـحابي، ومَـنِ اختـل فيه شرط منها فليس بصحابي، والشروط الثلاثة هي:

الشـرط الأول: مَـنْ لقـي النبـي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيخـرج منـه مـن لـم يلقـه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كحالنا نحن الآن، فنحن آمنا به ولكننا لم نلقه في الحيـاة، فقـد توفي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبلنا، وكذلك يخرج منه من كان في عهده وآمن به، ولكنـه لم يأتِ إليه في المدينة، فهذا أيضًا ليس بصحابي.

وقول العلماء: «مَنْ لقي» هذا أحسن من تعبير بعض أهل العلم بقـولهم: «مـن رأى»؛ لأن مِـنَ الصـحابة مَـنْ كُـف بصـره ولـم يـرَ النَّبـي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

ولكنه لقيه، واجتمع به، وسمع كلامه، لكن الرؤية البصرية لم تتحقق فيه، فإذا قلنا مَنْ رأى أخرجنا من الصحابة من كان أعمى كأبي بن كعب، وابن أم مكتوم، وغيرهم، فهؤلاء فيهم مصابون بالعمى، إذًا قول: «من لقي» أفضل من قول: «من رأى».

الشرط الثاني قال: **مؤمنًا به**؛ بمعنى: أنه في حال لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به، وعليه فإنه يخرج أبو لهب وأبو جهل، والوليد بن المغيرة، فهؤلاء لقوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورأوه، ولكنهم لم يكونوا مؤمنين به.

واختلف العلماء في مَنْ لقيه كافرًا ثم عندما رجع إلى بلده شرح الله صدره للإسلام فأسلم، فهذا فيه خلاف بين أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ، والقول الأقرب إن شاء الله أنه ليس بصحابي، إلا إذا تجدد لقياه معه مرة أخرى، لأن الإيمان لا بد أن يكون مقرونًا برؤيته، تراه وأنت مؤمن.

واختلف العلماء في مَنْ رآه في عهده، ولكن لا يزال على الكفر، ولم يؤمن إلا بعد موته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهل يسمى صحابيًّا؟

الجواب: هذا لا يسمى صحابيًّا؛ لأنه حين لقيه لم يكن مؤمنًا به، وهذا اللقي لا بد أن يكون في حال حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا اختلف العلماء في بعض الوفود التي جاءت تريد أن تؤمن به، ولكن اخترمت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنية فرأوه وهو مسجى في كفنه، آمنوا به لكنهم رأوه بعد وفاته، فهل يُسمون صحابة؟

الجواب: لا يُطلق عليهم صحابة، ولذلك اختلف العلماء في النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنه مات مؤمنًا وصلى عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو آمن بالنبي

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكنه لم يره، إذًا لا يسمى صحابيًّا، وإنما يسميه العلماء (**مخضرم**)، وهي مرتبة بين كونه تابعيًا وبين كونه صحابيًا، فالمخضرم أدنى من الصحابي وأرقى من التابعي.

الشرط الثالث قال: «ومات على الإيمان»، وهذا شرطٌ مهم جدًا؛ لأن هناك من جاء إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولقيه وهو مؤمن به، ولكن بعد وفاته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارتد على عقبيه كبعض الأعراب المجاورين للمدينة، والذين حاربهم أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حروب الردة، فمن مات منهم وقد ثبت لقاءه وإيمانه بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يسمى صحابيًّا.

واختلف العلماء فيمَنِ ارتد ثم عاد إلى الإيمان ومات عليه، كعبد الله بن أبي السرح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فهل يسمى صحابيًّا؟

الجواب: هذه المسألة فيها قولان لأهل العلم، والقول الصحيح أنه يُسمى صحابيًّا، ولذلك قال الإمام الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نخبة الفكر قال: «أن الصحابي من لقي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنًا به، ومات على ذلك، ولو تخللت ردة في الأصح»، بمعنى: إذا ارتد ثم رجع فإن ردته المعقوبة بالإيمان مرة أخرى هذه لا تؤثر في صحبته للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهنا مسألة ذكرها الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهي مسألة عجيبة، وهذه المسألة مذكورة في كتاب «تجريد أسماء أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، فقد ذكر أن من الصحابة عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حيث قال أن كل الشروط الثلاثة متوفرة في عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فعيسى نبي وصحابي، نبي باعتبار نبوته السابقة قبل بعثة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصحابي باعتبار توفر

الشروط الثلاثة فيه.

وبعد ذكرنا للشروط الثلاثة، نطبقها على هذه المسألة:

الشرط الأول: لقي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، السؤال: هل ثبت أن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقي النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟

الجواب: نعم، كما في حديث[1] أبي مالك وأبي هريرة أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقي عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا في السماء الثانية، وأيضًا لقي موسى وعيسى وإدريس، ولقي إبراهيم وآدم عليهم جميعًا الصلاة والسلام، فهل هؤلاء كلهم صحابة؟

نقول: لا؛ على الرغم أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقيهم ولكن كان بعد موتهم، الميتة التي كتبها الله عليهم.

وأما بالنسبة لعيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فإنما لقيه في حياته، فعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما نعلم، وكما هو ثابت لدينا أنه لايزال حيًا في السماء إلى الآن بنص الكتاب والسنة وبإجماع أهل السنة، فالله جَلَّ وَعَلَا رفع عيسى ابن مريم حيًا، فعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يمت الميتة التي كتبها الله في الدنيا إلى الآن، وسيموت بعد أن ينزل من السماء فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية[2]، ولا يقبل إلا الإسلام، ويجاهد في سبيل الله، ويجدد للأمة دينها،

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [ذِكْرِ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ] (٤/ ١٣٥)، برقم: [٣٣٤٢].

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [قتل الخنزير] (٣/ ٨٢) برقم: =

ثم يموت ويصلي عليه إمام ذلك الزمان من هذه الأمة، رحم الله الجميع رحمة واسعة، فلُقِيُّهُ في السماء كان في حياته، فلذلك جعلناها لُقيا معتبرة، أما لُقِيُّهُ بآدم فهي بعد موت آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولُقِيُّهُ بيحيى بن زكريا فهو بعد موت يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولُقِيُّهُ بموسى وإبراهيم وإدريس وهارون عليهم الصلاة والسلام جميعًا كان بعد موتهم صلى الله عليهم وسلم، فهذا لُقي معتبر.

وقوله (مؤمنًا به) في الحديث قال: «**مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ**»(١) فآمن به وصدقه، فتحقق الشرط الثاني.

الشرط الثالث: ومات على الإيمان، وهذا سيتحقق في عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما ذكرناه آنفًا .

فنحن نقر بأن عيسى من الصحابة، وأنه آخر الصحابة موتًا، ولذلك يُلغز بها فيقال: من آخر الصحابة موتًا؟ فكلهم سيقولون: فلان وفلان، ولكن القول الصحيح: أنه هو عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ .

فإن قلت: وكيف سينزل عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في آخر الزمان، وقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**وَإِنِّي خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»(٢)؟

....

=

[٢٢٢٢]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [نزول عيسى ابن مريم] (١/ ١٣٥) برقم: [١٥٥].

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [ذكر إدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ] (٤/ ١٣٥)، برقم: [٣٣٤٢].

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٨/ ٣٨٠)، برقم: [٢٣٣٥٨]، وأخرجه أحمد في

=

الجواب: أن نزوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في آخر الزمان ليس على أنه نبي برسالة جديدة، وبعثة جديدة، وإنما نزل على أنه مجدد من مجددي هذه الأمة، فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قضى بأمر ربه جَلَّ وَعَلَا بأنه يكون على رأس كل مائة سنة في هذه الأمة من يجدد لها دينها.

والمجددون في هذه الأمة كُثُر آخرهم وأعظمهم هو عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهذا دليل على شرف هذه الأمة وفضلها؛ لأنها افتتحت بخير الأنبياء محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخُتمت بخير المجددين عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

ومسألة كون عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ آخر الصحابة موتًا، وإن كانت غريبة على أذهان البعض، وربما تكون من المسائل الشاذة عند بعض الناس، ولكن قررها الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **والشاهد**: أن من توفرت فيه هذه الشروط فإنه يكون صحابيًا.

- **المسألة الثانية: ما عقيدتنا في أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟**

أقول: عقيدتنا في أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجملة في عدة أمور وهي:

=

«سنن أبي داود» باب: [ذكر الفتن ودلائلها] (٤/ ٩٧)، برقم: [٤٢٥٢]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب: [مَا جَاءَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ كَذَّابُونَ] (٤/ ٤٩٩)، برقم: [٢٢١٩]، وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥/ ٣٢٧)، برقم: [٥٤٥٠]، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٣/ ١٤٨٨)، برقم: [٥٤٠٦].

الأمر الأول: أن محبتهم واجبة على كل مؤمن في هذه الأمة، فيجب علينا أن نحب أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ وذلك لأنهم بذلوا الغالي والنفيس في نصرة الحق، وفي دفاعهم عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنحن نحبهم لسابقتهم للإسلام، يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

ونحبهم أيضًا لهذا الثناء العظيم الذي أثنى الله عليهم به في كتابه جَلَّ وَعَلَا، يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨]، ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:٢٩]، وهذه الآية فيها سرٌ عجيبٌ وملمحٌ لطيفٌ جدًا، وهي أن الله جَلَّ وَعَلَا مدح الصحابة بالأمر الذي قصَّر فيه اليهود والنصارى، وذلك لأن اليهود قوم أقبلوا على الأمور المادية وأهملوا الأمور المعنوية، فتجد اليهود من أغنى الناس، وعندهم التجارات والاقتصاد وغير ذلك، ولكن إذا رأيتهم في جانب التعبُّدات والإلهيات وجدتهم ضعفاء، ليس عندهم من التعبدات ما عند النصارى، فالنصارى أحسن منهم في مثل هذا، وإن كان القوم منهم على ضلالة، لكن هؤلاء عندهم من الروحيات

والتعبدات ما ليس عند هؤلاء.

فاليهود أجادوا في الجانب المادي، ولكنهم أهملوا في الجانب الروحي التعبدي، والنصارى عكسهم، فتجد النصارى بلهاء في أمور الدنيا، ولذلك الفقر عندهم كثير، وديونهم كثيرة، والأمور المالية عندهم مضطربة، وليس حال أمريكا عنا ببعيد في هذه الأزمنة، فاليهود خرقوا في أمور الدنيا، وفي أمور التجارات، وإن كانوا يتصفون بالرأسمالية، لكن حقيقة النظام الرأسمالي يديره اليهود وليس النصارى، مع أن الكنائس بها جميع ما يتعلق بحياتهم، فإن جاءهم ولدٌ جاؤوا به يعمدونه في الكنيسة، إن أرادوا أن يتزوجوا زوجوا في الكنيسة، إذا مات لهم ميت دخلوا به الكنيسة، فحياتهم كلها متصلة بالكنيسة، فلديهم إجادة في جانب الروحانيات، لكنهم أهملوا في جانب الماديات.

فعندما مدح الله جَلَّوَعَلَا الصحابة ذكر مدحهم في التوراة، وفي الإنجيل، فعندما مدحهم في التوراة مدحهم بالجانب الروحاني، وفي الجانب الذي أجادوه اليهود، فقال الله جَلَّوَعَلَا ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ أي: الصحابة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الفتح:٢٩]، وهو الجانب الذي أهمله اليهود، فالمثل الروحاني هو المضروب في التوراة، فالصحابة لم يهملوا جانب الروح وجانب التعبد لله جَلَّوَعَلَا كما أهمله اليهود، وعندما ذكر مثلهم في الإنجيل المنزل على النصارى -عيسى ابن مريم-، ضرب لهم مثالًا ماديًا حسيًا وهو الزراعة، والحرث، والكسب، والسعي في هذه الدنيا، والمشي في

مناكبها، والأكل من رزق الله، فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩]، فذكر هنا الجانب المادي الذي أهمله النصارى، وهو السعي في هذه الدنيا، بالجِد الحفيف، والوظيفة، وكسب الرزق من عرق الجبين وذات اليد، هذا هو الجانب الذي قصر فيه النصارى.

فالصحابة عندهم جانبان متكاملان ليس فيهما نقص ولا يطغى جانب على جانب، فجانب الماديات لم يطغ على جانب الروحانيات والعبادات، وجانب الروحانيات والعبادات لم يطغ على جانب الماديات، ولذلك تجد أن الضلال إما في أمور الدنيا، وإما في أمور الدين سببه طغيان أحد الجانبين على الآخر.

فمن الناس من ليس همه إلا الدنيا، فيضيع الصلاة من أجل الدنيا، ويضيع الصوم من أجل الدنيا، ويضيع الحج من أجل الدنيا، ويضيع بر الوالدين من أجل الدنيا، وهذا فيهم شبه من اليهود، وإن من الناس من يقبل على الجوانب الروحانية والعبادية ويعطل معاشه، فلا تجده إلا سائلًا فقيرًا محتاجًا مفقعًا «أي: محتاجًا للناس»، فهذا في الحقيقة أخطأ، وديننا مبناه على الوسطية بين تحقيق جوانب مطالب الجسد وهو الجانب المادي، وجانب الروح ومطالب الروح وهو الجانب العبادي، فلذلك لا يستقيم حال الإنسان إلا إذا كان كذلك، فهذا مدح للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنهم جمعوا بين الجانبين جمعًا متناسبًا وسطيًا، لم يطغ جانب على جانب، ولا غرابة في ذلك، فإنهم طلاب نجباء تخرجوا من مدرسة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الأمر الثاني: من عقيدتنا في الصحابة أننا لا نفرط في حب أحد منهم، والمراد بالإفراط أي: تجاوز الحد في الحب، كما فعله الرافضة كذبًا وزورًا وبهتانًا في أهل البيت، فإنهم أفرطوا في حبهم حتى رفعوهم إلى مراتب الألوهية والربوبية - والعياذ بالله- فأهل السنة يحبون أصحاب النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من غير إفراط أو تفريط في حب أحدٍ منهم، كما فعله الرافضة وغيرهم.

الأمر الثالث: أننا نبغض في الله من أبغضهم، فهذه عقيدتنا في أصحاب رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أنه يجب علينا أن نبغض في الله جَلَّوَعَلَا من أبغض أصحاب النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومن بارزهم بالعداوة، والسب، والشتم، والقدح ؛ فيجب علينا أن نبغضه في الله جَلَّوَعَلَا كحال الروافض في هذا الزمان، وحال الخوارج في السابق والحديث، فهؤلاء يقدحون في أصحاب الرسول صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ويبغضونهم، ويتقربون إلى الله بعداوتهم بل وقتلهم، فنحن يجب علينا معاشر أهل السنة تعبدًا لله أن نبغض في الله هذه الطوائف الضالة، المخالفة للحق والهدى.

الأمر الرابع: الإيمان الجازم بأن أصحاب النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عدول ثقات أثبات، لا يُبْحَثُ عن عدالتهم مطلقًا؛ لأن الله جَلَّوَعَلَا عدلهم ووثقهم في القرآن الكريم، وأخبر بأنه راضٍ عنهم، وعدَّل إيمانهم، وعدَّل أقوالهم، وعدَّل أحوالهم، وعدَّل عباداتهم، فلا تعديل بعد تعديل الله جَلَّوَعَلَا، ولا توثيق بعد توثيق الله جَلَّوَعَلَا، فإن كنا نحن نفتخر ببعض الرواة أن الإمام أحمد رحمه الله تعالى وثقهم، ونقول: فلان وثقه الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ،

ووثقه ابن معين، فهذا يعتبر فخرًا لهذا الراوي بأنه عدل، فكيف بمن عدّلهم الله، ومن وثقهم الله جَلَّوَعَلَا، فلا جرم أن هذا أعظم في الفخر ونهاية في الثناء.

الأمر الخامس: الإيمان الجازم بما ورد لهم في الكتاب والسنة من الفضائل، والتعبد لله جَلَّوَعَلَا بنشر هذه الفضائل في الأمة، سواءً كانت فضائل على الإجمال، أو فضائل على التفصيل:

على وجه الإجمال: ترد الأدلة وتكون دالة على فضل الصحابة على وجه الإجمال من غير تعيين صحابي بعينه، فهذه يجب علينا أن نؤمن بها.

ومن أدلة الكتاب: كقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح:٢٩]، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠]، ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ [الفتح:١٨]، هذا من القرآن.

وأما من السنة: فقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي**»(١)، وقوله

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [لاَ يَشْهَدُ عَلَى شَهَادَةِ جَوْرٍ إِذَا =

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما خرج يومًا من الأيام في ظلمة والنجوم تتلألأ فنظر إليها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: «**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**»[(١)] والأدلة على ذلك كثيرة.

أو فضائلهم على الوحدان؛ بمعنى: أي الفضائل التي ثبتت لصحابي بعينه، كالفضائل التي ثبتت في حق أبي بكر، أو عمر، أو عثمان، أو خالد بن الوليد، أو حسان، أو أبي هريرة، أو غيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مما سيأتي ذكره وبيانه إن شاء الله جَلَّ وَعَلَا.

فيجب علينا معاشر أهل السنة أن نؤمن بتلك الفضائل كحد سواء على الإجمال والتفصيل، وأن نتعبد لله جَلَّ وَعَلَا بنشرها في الأمة، سواء في وسائل الإعلام المقروءة أو المسموعة، أو في مجالسنا العامة والخاصة، فعلينا أن ننشر تلك الفضائل، ونبين فضائل الصحابة للأمة حتى تتحقق هذه المحبة.

الأمر السادس: الإيمان الجازم بأنهم خير قرون الأمة على الإطلاق، فلا كان ولا يكون مثلهم أبدًا، بل إن من الناس من فضَّل أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جميع من خلق الله من الإنس والجن عدا الأنبياء، فهم

=

أُشْهِدَ] (٣/ ١٧١) برقم: [٢٦٥٢]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ] (٤/ ١٩٦٣) برقم: [٢٥٣٣].

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [بَيَانِ أَنَّ بَقَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَانٌ لِأَصْحَابِهِ، وَبَقَاءَ أَصْحَابِهِ أَمَانٌ لِلْأُمَّةِ] (٤/ ١٩٦١) برقم: [٢٥٣١].

أفضل الخلق بعد الأنبياء؛ إذًا الأنبياء ثم أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فيجب علينا أن نعتقد أنهم خير قرون هذه الأمة، لا كان ولا يكون مثلهم أبدًا، لا في جهادهم، ولا في نضالهم، ولا في بذلهم المال والغالي والنفيس في نصرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي سبيل الحق، وإعلاء كلمة الله جَلَّ وَعَلَا، فما تركوا غاليًا، ولا نفيسًا إلا وبذلوه في سبيل الحق.

وهذا خلاصة مذهبنا فيهم:

١- أننا نحبهم.

٢- لا نفرط في حب واحد منهم.

٣- أننا نبغض في الله جَلَّ وَعَلَا من أبغضهم.

٤- أنهم في عقيدتنا عدول ثقات أثبات، لا يبحث عن عدالتهم وتوثيقهم.

٥- الإيمان بما ورد لهم من الفضائل على الإجمال والتفصيل، والتعبد لله جَلَّ وَعَلَا بنشر تلك الفضائل في الأمة.

٦- الإيمان الجازم القطعي بأنهم خير قرون هذه الأمة، فلا كان ولا يكون مثلهم.

- **المسألة الثالثة: ما عقيدة أهل السنة فيما شجر بين أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووقع بينهم من الفتن؟**

الجواب: نحن نقرأ في التاريخ الإسلامي، وننظر في السنة فنجد أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أخبر بأنه «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ**

بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ»(١)، أي: أن الباعث لهما على القتال واحد وهو نصرة الحق، ولكن سيكون بينهم قتال، فنقرأ في التاريخ الإسلامي واقعة الجمل، وغيرها من الوقائع التي وقعت بين بعض أصحاب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ.

فلنا عقيدة خاصة في مثل هذه المسألة؛ فيجب عليك أن لا تترك هذه المسألة إلا بعد معرفة عقيدة أهل السنة والجماعة فيما شجر بين أصحاب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ووقع بينهم من الفتن بعد وفاته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وبالتحديد في عهد علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ومعاوية؛ حيث وقع بينهما مقتلة عظيمة، قُتل فيها أنفس كثيرة، فما عقيدتنا في هذا الخلاف الذي حصل بينهما؟

- **الإجابة: عقيدتنا في هذه المسألة تتضمن عدة أمور:**

الأمر الأول: الصمت عما شجر بينهما، وهذا الصمت نتعبد الله جَلَّوَعَلَا به، فكما أن المأموم يتعبد لله جَلَّوَعَلَا بالصمت لاستماع قراءة الإمام، فكذلك نحن نتعبد بالصمت عند ذكر هذا الخلاف، فلنلتزم الصمت، ونقول: أن تلك الفتنة عصم الله منها سيوفنا، فيجب علينا أن نعصم منها ألسنتنا، كما قيل لعبد الله بن مبارك: ألا تتكلم فيما حصل لمعاوية؟! قال: «تلك فتنة عصم الله منها سيفي فليعصم منها لساني»، وهذا هو الصمت، وقد أجمع علماء أهل السنة على وجوب الصمت في هذه المسألة، حتى لا يخوض الإنسان في هذه الفتنة بشيء من الباطل والدجل.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [خروج النار] (٩/ ٥٩)، برقم: [٧١٢١].

الأمر الثاني: أن نعتقد أن فيهم مجتهدين، فإما مصيبون وإما مخطئون وهم مأجورون على كل حال، وليس منهم منافق، حاشاهم وكلا وأستغفر الله، ولا أحد منهم يريد الضلال، ولا أحد يريد أن يسفك دم أخيه، لكنهم مجتهدون، وقد قررت الشريعة على أن المجتهد مأجور على كل حال، إما أجران وإما أجر، فيؤجر المجتهد أجرين إذا أصاب، ويؤجر بأجر واحد إذا أخطأ، يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»(١).

وقد أجمع علماء أهل السنة على أن الله عَزَّوَجَلَّ قد غفر لهذه الأمة خطأها المبني على التأويل، ولذلك عندما كشف الله عَزَّوَجَلَّ المحنة عن أهل السنة باستقرار الحكم لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واستقرار الحكم بعده لمعاوية وتنازل الحسن عنه، **قال الزهري بعد ذلك**: «مضت السنة أن كل دم أهدر بتأويل القرآن فهو هدر لا دية له»؛ لأنهم متفقون على أنما أهدر دمه بالتأويل السائغ، وهذا أمر متفق عليه بين أهل السنة.

فيجب علينا أن نؤمن أن أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم مجتهدون، فالمصيب منهم في هذا القتال له أجران، والمخطئ منهم في هذا القتال له أجر واحد، والله جَلَّ وَعَلَا قد غفر لهذه الأمة خطأها وزللها المبني على التأويل.

العقيدة الثالثة: أن نؤمن أن لهم من الفضائل والحسنات، ما يوجب تكفير

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [أَجْرِ الحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ] (٩/ ١٠٨) برقم: [٧٣٥٢]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [بَيَانِ أَجْرِ الْحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ، أَوْ أَخْطَأَ] (٣/ ١٣٤٢) برقم: [١٧١٦].

خطأ الواحد منهم إن ثبت عنه، وكما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا كان الماء قُلَّتينِ لم يحمل الخَبَث**»(١)، فإنك إذا نظرت إلى هؤلاء القوم بعين العدل والإنصاف؛ وجدت أنهم أعظم هذه الأمة جهادًا ونضالًا عن الدين، ودفاعًا عن الحق، وقيامًا بواجب الدين من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإبلاغ كلمة الحق في سائر أقطار الدنيا، فلهم من الفضائل والمزايا، والجهود المشكورة، والأيادي المأثورة التي لا تزال الأمة تحفظها لهم، توجب تكفير هذه الزلة البسيطة التي تقع من الواحد منهم إن ثبتت عنه، مع أنهم مغفور لهم لأنهم فعلوه على وجه التأويل والاجتهاد، إلا أن لهم من الفضائل ما يغطي تلك السيئات إن ثبتت عنهم، ولذلك يقول الناظم:

ولهم فضائل جمة قد دونت... تقضي على الزلات والعصيان

ولذلك أثنى الله عليهم في كتابٍ يتلى إلى يوم القيامة، مع علمه جَلَّ وَعَلَا بما سيكون عليه الغيب من أمر اقتتالهم، ومع ذلك أثنى عليهم، مما يدل على أن ساحتهم عنده جَلَّ وَعَلَا بريئة، وأنه قد غفر لهم، بل إننا نجزم جزمًا لا محيص ولا محيد عنه: أنهم أحق الناس بالدخول في شفاعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أوَلَا يشفع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحاب الذنوب والمعاصي؟! فأحق الناس بالدخول في شفاعته هم صحابته الذين وقع منهم شيء من أمر الفتنة، أو القتال إن ثبت ذلك عنهم.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٩/ ٢٣) برقم: [٤٩٦٢]، وأخرجه أبو داود في «سننه» باب: [ما ينجس الماء] (١/ ١٧) برقم: [٦٥]، وأخرجه الترمذي في «سننه» (١/ ٩٧) برقم: [٦٧]، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١/ ١٤٩) برقم: [٤٧٧].

العقيدة الرابعة: وهي أن نعلم أن غالب المنقول عنهم في كتب السير والتاريخ كذب ودجل، وأنه من دسائس الخوارج والرافضة الذين يريدون تشويه صورة أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا ليس كلامي إنما كلام ابن تيمية والإمام أحمد وغيرهم، وهو أن نعلم أن غالب المنقولات عنهم في الفتنة إنما هو كذب ودجل، وأن الثابت عنهم فيه قليل وهم فيه مجتهدون، وأنه نزر يسير فيما ثبت عنهم، ونقل عنهم في أمر الفتنة، وإلا فغالب تلك المنقولات إنما هي كذب ودجل دسه أعداء الإسلام من الرافضة والخوارج؛ حتى يشوهوا هذه الصورة البيضاء الناصعة النقية المستنيرة التي امتلأت جمالًا وبهاءً، فأرادوا أن يلوثوها بطين الكذب والقاذورات، فوضعوا تلك المرويات الباطلة الواهية حتى يشوهوا سمعة أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإننا لنعتب على بعض الفضلاء ممن ينتسبون إلى العلم، وقد ظهرت بعض الأشرطة التي تتكلم تفصيلًا عما حصل بين أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإننا بعد سرد هذه الأشرطة وسماع ما فيها وجدنا أنه اعتمد على كتب السير والتاريخ، التي تنقل الغث والسمين في هذه الفتنة، وللأسف وقع فيما حذر فيه أهل السنة والجماعة من أنه أثبت في أمر الفتنة ما أثبتته تلك الأحاديث الضعيفة، والمرويات الكاذبة عن أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك فبث هذا الخلاف في الأمة ليس من الحكمة، ولا من العدل، ولا من الإنصاف، ولا من المصلحة، فما المصلحة أن تعرف الأمة أن بعض الصحابة قتل بعضًا؟ بل هذا مما ينقص مقدار الصحابة في قلوب بعض

ضعاف الإيمان، الذين لم يعرفوا الجوانب الأخرى العظيمة التي فعلها الصحابة، فإذًا لا ينبغي إخراج صورة الصحابة في أنهم قوم اقتتلوا فيما بينهم، وأن نعلم أن مثل هذا خطأ كبير جدًا، وأنه لا بد من نشر تلك الفضائل، والصمت عن هذه المسائل التي قد تحدث في قلب ضعفاء الدين والإيمان، ما تحدثه من كراهيته لهذا الدين، أو عدم اقتدائه بهم، أو عدم اعتماد فهمهم في فهم الأدلة، فكل هذا لا مصلحة منه.

لذلك أنكر أهل العلم على هذا الرجل بعد إخراجه تلك الأشرطة فقالوا: إن من عقيدة أهل السنة الصمت عما شجر بين أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وأي مصلحة سوف تكون للناس إذا عرفوا أن الصحابة اقتتلوا فيما بينهم؟! ليس في ذلك أي مصلحة، إنما به من المفاسد ما لا حصر لها.

فإن سألتني وقلت: أوَليس أهل السنة قد تكلموا فيها؟

نقول: نعم؛ ولكن تكلموا فيها بالعلم والعدل والإنصاف، ولذلك تكلم ابن تيمية بما حصل بين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقرر أن الحق مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبين الأمور على وجهها الصحيح، لكن أول شيء لم يتوغل في هذا الخلاف، ولم يعتمد على تلك المرويات الباطلة الكاذبة، ولم يجعلها ديدنه ويتصدر بها المجالس ولا غير ذلك، فهذه الأشرطة أنا أحذركم منها في الحقيقة، وليحذر بعضكم بعضًا من اقتناء تلك الأشرطة؛ لأنها لو وقعت في يد الأطفال والصغار على شكل قصص وحكايات ربما ينشأ الطفل الصغير،

أو قليل العلم، أو ضعيف الإيمان وهو مبغض لهذا الجيل العظيم، الذي حبه عقيدة نتعبد بها لله جَلَّوَعَلَا، يقول الناظم في النونية:

والصمت حق عن خلاف قد جرى... بين الصحاب وهم به نوعان

فالمخطئون لهم ثواب واحد... أما المصيب فأجره ضعفان

ولهم فضائل جمة قد دونت... تقضي على الزلات والعصيان

• **المسألة الرابعة: ما عقيدتنا في آل البيت؟**

نقول: **أولًا**: آل البيت هم آل العباس، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل أبي طالب فهؤلاء هم آل البيت، والمؤمنون منهم لنا فيهم عقيدة زائدة عن عقيدتنا في أصحاب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ التي قررناها قبل قليل، أي: جميع ما قررناه في عقيدتنا في أصحاب رسول الله يأتينا الآن ويكون لهم، لكن نزيد على ذلك أيضًا عدة نقاط.

العقيدة الأولى في آل البيت: أن نحبهم لقرابتهم للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

فآل البيت نحبهم لثلاثة أمور:

الأمر الأول: نحبهم لإيمانهم.

الأمر الثاني: نحبهم لصحبتهم للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

الأمر الثالث: نحبهم لقرابتهم من النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

العقيدة الثانية في آل البيت: أن نحفظ وصية النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فيهم لما أوصانا بهم فقال: «**وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ**

بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»[1]، فأهل السنة يحفظون هذه الوصية لآل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

العقيدة الثالثة في آل البيت: أن نعطيهم حقوقهم التي خولت لهم في الكتاب والسنة .

كما جاء في كتاب الله جَلَّ وَعَلَا مبينًا أن لهم في الفيء خمس الخمس، يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ **وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ** ﴾ [الأنفال:٤١]، فلهم حق خمس الخمس من الفيء، ولا بد أن نعطيهم هذا الحق.

فأهل السنة يتعبدون بمحبتهم لقرابتهم من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحفظون وصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم، ويعطونهم حقوقهم المخولة لهم في الكتاب والسنة، ولا يحرمون أحدًا من آل البيت حقه.

لكن لا بد أيضًا من التنبيه: أن مجرد الانتساب لبيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يوجب فضل؛ إن لم يكن ثمة إيمان وتوحيد وعمل صالح، فأبو لهب قريب من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم تنفعه قرابته؛ لأنه قد خلا قلبه من الإيمان والعمل الصالح، وكذلك أبو طالب لم تنفعه قرابته للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم تخرجه من النار إلى الجنة، على الرغم من أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيشفع فيه، ولكن ليست شفاعة قرابة، إنما شفاعة لأنه كان يحميه ويذب عنه، وهي

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] (٤/ ١٨٧٣)، برقم: [٢٤٠٨].

شفاعة تخفيف، وليست شفاعة إخراج بإجماع أهل السنة والجماعة.

فمجرد القرابة لا توجب فخرًا إذا لم يكن معها إيمان وعمل صالح، ولذلك ما نفع زوجةَ نوح ولوط أنهما امرأتا نبيين، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم:١٠]، فلم ينفعهما ذلك، وكذلك لم ينفع آزر أبوته لإبراهيم خليل الرحمن ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٧٤]، فلم ينفعه أبوته لإبراهيم، كما أنه سيأتي يوم القيامة ويجعل في صورة كبش، ثم يلقى في جهنم والعياذ بالله[1]، وكذلك بنوة هذا الابن الكافر لنوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ما نفعه أن أباه نوح؛ لأنه إذا لم يكن ثمة إيمان وعمل صالح في قلبه، فمجرد قرابتك للصالحين لا تنفعك عند الله جَلَّ وَعَلَا.

فلا يأتِ أحدٌ ويقول: أنا من آل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويفتخر بذلك، وهو لا يعرف مسجدًا، ولا يعرف صلاة، ولا يعرف برًّا، ولا إحسانًا، ولا دعوة، ولا خيرًا، فلا تنفعه قرابته وهو بعيد عن الطاعات والعبادات، بل يجب عليه أن يحترم هذه القرابة، وأن يشكر الله عليها، وأن يكون مثالًا صالحًا في تحقيق المعاني الطيبة في هذه القرابة.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥]] (٤/ ١٣٩)، برقم: [٣٣٥٠].

المسألة الخامسة من مسائل هذين البيتين: ما عقيدتنا في الخلافة بعد موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

الجواب: يؤمن أهل السنة والجماعة أن الخليفة بعد موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، بهذا الترتيب، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل وأجهل من حمار أهله، كما قاله ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

وكما قال الناظم:

إن الخلافة بعد موت المصطفى... بالنص للصديق في الرجحان

وبعهده الفاروق صار خليفة... وبعقدنا لهما عظيم الشأن

من بعدهم عثمان بالشورى... فرابعهم علي يا أخي العرفان

...

فلا يجوز الطعن في خلافة أبي بكر، ولا في خلافة عمر، ولا في خلافة عثمان، ولا في خلافة علي، فلا يجوز الطعن في خلافة أحد منهم، ولا في هذا الترتيب الوارد عنهم؛ فأحق الناس بالخلافة بعد موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، هذا بإجماع أهل السنة والجماعة.

فإن قلت: كيف تمت الخلافة لأبي بكر؟ هل هناك نص بذلك أم بالاختيار؟

الجواب: القول الصحيح -إن شاء الله- أنه بالاختيار المبني على النص، فقد تمت الخلافة لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالاختيار من قبل الصحابة، وهذا الاختيار مبني على النص، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد دل الأمة على خلافة

أبي بكر، وأخبرهم بخلافته إخبار من هو راضٍ عن هذه الخلافة، وقد دلت السنة على ذلك في أحاديث كثيرة منها: حديث جبير بن مطعم، أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا، فأمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَقالَتْ: يا رَسولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إنْ جِئْتُ فَلَمْ أَجِدْكَ؟ قالَ أَبِي: كَأنَّهَا تَعْنِي المَوْتَ، قالَ: «**فإنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتي أَبَا بَكْرٍ**»

وكذلك حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرضه: «**ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ، أَبَاكِ، وَأَخَاكِ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُول قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْر**»(١)، مع أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقل أن أبا بكر هو الخليفة بعده بنص صريح، ولكنها نصوص بمجموعها تدل على رضا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخلافته، وعلى دلالة الأمة على خلافة أبي بكر، وورد في حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ خُلَّةُ الإِسْلَامِ أَفْضَلُ، سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي هَذَا المَسْجِدِ، غَيْرَ خَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ**»(٢).

وقد أجمع النقلة على أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان خليفة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصلاة، فكان إذا حدث شيء قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مُرُوا أَبَا**

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [من فضائل أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ] (٤/ ١٨٥٧)، برقم: [٢٣٨٧].

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [الخَوْخَةِ وَالمَمَرِّ فِي المَسْجِدِ] (١/ ١٠٠)، برقم: [٤٦٧].

بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ»[١] كما حدث في آخر حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه إشارة عظيمة من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على اختياره لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خليفة؛ لأن الصحابة قالوا بعد ذلك: «أو لم يقدمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمر ديننا وهو الصلاة، فإذا رضيه لأمر من أمور ديننا، أفلا نرضاه في أمور دنيانا؟!!»، وهي الخلافة وتنظيم أمور الدنيا.

فلذلك خلافة أبي بكر تمت بالبيعة، والاختيار المبني على النصوص، التي تدل الأمة على خلافة أبي بكر، وعلى رضا الرب ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فإن قلت: وكيف تمت الخلافة لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **؟**

الجواب: أجمع علماء السيرة على أن الخلافة تمت لعمر في عهد أبي بكر إليه، ولذلك يقول الناظم:

وبعهده الفاروق صار خليفة

أي في عهد أبي بكر صار الفاروق خليفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأرضاهما، فالخليفة الثاني هو عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ووجه خلافته عهد أبي بكر إليه، وهذه الخلافة قد حصلت برؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [الرَّجُلُ يَأْتَمُّ بِالإِمَامِ وَيَأْتَمُّ النَّاسُ بِالْمَأْمُومِ] (١/ ١٤٤) برقم: [٧١٣]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [اسْتِخْلَافِ الْإِمَامِ إِذَا عَرَضَ لَهُ عُذْرٌ مِنْ مَرَضٍ وَسَفَرٍ، وَغَيْرِهِمَا مَنْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، وَأَنَّ مَنْ صَلَّى خَلْفَ إِمَامٍ جَالِسٍ لِعَجْزِهِ عَنِ الْقِيَامِ لَزِمَهُ الْقِيَامُ إِذَا قَدَرَ عَلَيْهِ، وَنَسْخِ الْقُعُودِ خَلْفَ الْقَاعِدِ فِي حَقِّ مَنْ قَدَرَ عَلَى الْقِيَامِ] (١/ ٣١٣) برقم: [٤١٨].

وقد ورد في «صحيح البخاري ومسلم» حديث عن عبدالله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ، فَنَزَعْتُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَنْزِعَ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا عُمَرُ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ حَوْلَهُ بِعَطَنٍ**»(١)، ويدل هذا على أن الخلافة تكون بعد أبي بكر لعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فلما قتله أبو لؤلؤة المجوسي - لعنه الله- اختار عمر للخلافة بعده ستة من أهل الشورى، فاختار أهل الشورى عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فعثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ هو الخليفة الثالث بإجماع أهل السنة، ووجه اختياره خليفة هو اختياره من بين أصحاب الشورى، ولذلك يقول الناظم:

من بعدهم عثمان بالشورى

وعثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قتل غيلة في بيته ولم يعهد لأحد بالخلافة، ولكن تقررت كلمة المسلمين من أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ باختيار علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ خليفة للمسلمين من بعده، وإن كان رفض في أول الأمر، ولكن بعد بيان عظيم المصلحة له تولى الخلافة، ثم حصل ما حصل بين أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما ذكرنا سابقًا.

فإن قلت: هل الصحابة رضي الله تعالى عنهم يتفاضلون؟

الجواب: يعتقد أهل السنة والجماعة أن الصحابة يتفاضلون، فأفضل

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [فِي المَشِيئَةِ وَالإِرَادَةِ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠]] (٩/ ١٣٩) برقم: [٧٤٧٥].

الصحابة على الإطلاق أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهذا بالإجماع، ثم عمر، وهذا بالإجماع، ثم اختلف أهل السنة الأوائل في التفضيل بين عثمان وعلي، وهذا خلاف في التفضيل، وأما بالنسبة للخلافة فأحق الناس بالخلافة بالإجماع هو عثمان، لكن عندما جاء التفضيل انقسم أهل السنة الأوائل إلى ثلاثة أقوال: منهم من قدم عليًا في الفضل، ومنهم من قدم عثمان في الفضل، ومنهم من توقف ولم يفضل هذا على هذا ولا هذا على هذا.

ويقول ابن تيمية: ولكن هذا الخلاف قديم، وقد استقرت كلمة أهل السنة والجماعة في التفضيل على التثليث بعثمان، والتربيع بعلي، فهم في الفضل عند المتأخرين من أهل السنة كالفضل في تفضيلهم بالخلافة سواءً بسواء؛ فكما تقول في خلافتهم تقول في فضلهم، يقول الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلاَ وَفَضَائِلٌ... لكِنَّمَا الصِّدِّيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ

وهذا كلام على فضائل الصحابة على وجه الإجمال، ومن فضائلهم العامة رضي الله تعالى عنهم:

أولًا: الصحابة خير القرون بشهادة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي**»(١) وهذه الخيرية على مذهب الجمهور في أصح الأقوال أنها خيرية الأفراد، لا خيرية أجناس؛ بمعنى: أن أفراد وأعيان الصحابة أفضل ممَّن بعدهم، وأما خيرية من بعدهم من القرون خيرية

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [لاَ يَشْهَدُ عَلَى شَهَادَةِ جَوْرٍ إِذَا أُشْهِدَ] (٣/ ١٧١) برقم: [٢٦٥٢]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ] (٤/ ١٩٦٣) برقم: [٢٥٣٣].

أجناس لا خيرية أعيان، وأما عصر الصحابة فالخيرية فيه خيرية أعيان؛ أي: لا يمكن أن يأتي شخص بعد الصحابة ويكون أفضل من الصحابة، حتى ولو كان ذلك الصحابي أعرابيًا، جاء من البادية وأسلم ثم رجع إلى البادية، فهو خير من ابن تيمية، ومن الإمام أحمد وغيرهم، وذلك لأنه صحابي، فهذا تفضيل فضله الله عَزَّوَجَلَّ، وميزهم الله عمن جاء بعدهم، فمنزلة وفضل الصحبة لا يدركها أحدٌ من الناس مطلقًا، فالصحابة لا يكون أحد بعدهم أفضل منهم مطلقًا، فهم أفضل الأمة على الإطلاق .

ثانيًا: صحبتهم للنبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فإن النبي عَلَيْهِالصَّلَاةُوَالسَّلَامُ بين أن هذه الصحبة لم تأت هكذا كيفما اتفق، بل ما جاءت إلا باختيارٍ من الله، فقد دل على ذلك حديث: واثلة بن الأسقع الليثي أبي فسيلة، أن النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَمْ أَزَلْ خِيَارًا مِنْ خِيَار**»(١) .

فهذه الصحبة بنيت على اختيار من الله جَلَّوَعَلَا، وهذا من مناقبهم.

ثالثًا: من مناقبهم التزكية العظيمة والتوثيق العظيم من الله جَلَّوَعَلَا لهم في كتابه، كما مر معنا في قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(١) أخرجه الذهبي في «العلو» ص ٢٢، أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٣٨٨) برقم: [٢٠٠٥].

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح:٢٩].

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح:١٨]، وهذه كلها تزكية من الله جَلَّ وَعَلَا للصحابة في دينهم، وفي جهادهم، وفي نضالهم، وفي محبتهم للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **ثم قال الناظم:**

لكنما الصديق منهم أفضل

بمعنى: يقول الناظم: أنا أُقر بأن كل واحد من الصحابة له فضائل، وأن فضائلهم كثيرة، لكن أفضلهم على الإطلاق هو أبو بكر كما ذكرنا.

فالصحابة رضي الله تعالى عنهم يتفاضلون؛ فأفضلهم على الإطلاق أبو بكر، ثم يأتي في الفضل عمر بالإجماع، ثم اختلف العلماء في التفضيل بين عثمان وعلي، واستقرت كلمة أهل السنة والجماعة على التثليث بعثمان والتربيع بعلي، والمهاجرون أفضل من الأنصار، والعشرة المبشرون بالجنة أفضل المهاجرين، فقولنا بتفضيل بعض الصحابة على بعض ليس بدعًا من القول، بل التفضيل بينهم منثور في كتب أهل السنة والجماعة، لا ينكره أحدٌ منهم.

فإن قلت: ما حكم سب أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ؟

الجواب: أجمعت كلمة أهل السنة والجماعة على حرمة سب أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن سبهم موبقة من الموبقات، وكبيرة من عظائم الآثام والذنوب والبليات، والتي وقع فيها بعض أطياف الأمة من الرافضة

والخوارج وغيرهم، فلا يجوز للإنسان أن يسب أحدًا من أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سواءٌ سبًا يقتضي اللعن، أو التقبيح، أو الوصف بالجبن، أو البخل، أو غيره، فكل تلك الأوصاف لا يجوز لأحد أن يسب بها أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويكفيك في بيان حرمة سّبهم أن سبّهم يفضي إلى ترك ما بلغوه من الشرع، إذ كيف نقبل شريعة الله من قوم كفار؟ وكيف نقبل شريعة الله من قوم يستحقون السب واللعن؟

لذلك هؤلاء الزنادقة والرافضة وغيرهم أرادوا أن يقدحوا في الشريعة فما استطاعوا، فقال لهم الشيطان: اقدحوا في حملة الشريعة فإن القدح في الحامل قدح فيما حمله.

وأيضًا إن سبّ أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستلزم ويتضمن سب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نعوذ بالله من كل ذلك فإذا كان الإنسان يصاحب ويتخير من الصحبة من يجد فيهم الخير والمنفعة، فكيف بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وبلا شك أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل هؤلاء الصحابة دثارًا له، وشعارًا له، وأصحابًا له، وجلساء له، يذهبون معه في سفره، ويصلون معه في مسجده، ويذهبون معه في غزواته، فإذا كانوا يستحقون السب والتثريب والقدح، فإن القدح في الصاحب قدح فيمن صحبه، ولذلك يقول الناظم:

عن المرء لا تسأل، وسل عن قرينه... فكل قرين بالمقارن يقتدي

فإذا كان أبو بكر وعمر هؤلاء كفار ويستحقون السب واللعن- كما يقول عنهم هؤلاء قبحهم الله-، إذًا فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يصحبهم في مدخله

وفي مخرجه، وفي ذهابه وإيابه، أو لا يستحق ذلك! - نعوذ بالله من ذلك -، فهؤلاء الرافضة والزنادقة هم كفار وكفرهم كفر أعيان ليس كفر النفاق، فكل من يعتقد عقيدة الرافضة فإنه كافر، وهم من ألد الفرق لنا عداوة وبغضاء، فسب الصحابة قدح في الشرع، وقدح في صاحب الشرع صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقدح في من أوحى إليه بالشرع وهو الله جَلَّوَعَلَا، فالرافضة ومن على شاكلتهم الذين يقدحون في الصحابة رضوان الله عنهم، هم في الحقيقية عبدة لإبليس، وعبدة للشيطان، بل أظن أنهم جاءوا بشيء لم يستطعه الشيطان أن يأتي به، لأن بعض الناس سوف يبلغ في الكفر والزندقة والإلحاد شيئًا لم يبلغه الشيطان، فالشيطان لم يقل: أنا ربكم الأعلى، وقد قالها فرعون، وكذلك لم يقل: ما علمت لكم من إله غيري، وقد قالها فرعون، ففي الحقيقة صار الشيطان جنديًا من جنود هؤلاء، ويقول الناظم:

وقد كنت امرءًا في جند إبليس وارتقى

بي الحال حتى صار إبليس من جندي

فسب أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ موبقة وكبيرة وبلية عظيمة، ونسأل الله أن ينزه عنها ألسنتنا، وألا تنطوي عليها قلوبنا.

فإن قلت: وما الحكم لو وقع إنسان في سبهم؟ هل يكفر أم لا يكفر؟

الجواب: هذه المسألة فيها خلاف بين أهل العلم، فمنهم من حكم عليه بالكفر مطلقًا، ومنهم من لم يحكم عليه بالكفر مطلقًا، وأصح الأقوال هو قول أبي العباس ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ وفيه تفصيل حسن طيب، قال رحمه الله تعالى: «إن سبهم منه ما يكون كفرًا، ومنه ما لا يكون كفرًا».

فأما السب الذي يكون كفرًا فعدة أمور:

الأول: سب الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فمن وقع في الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا سبًا وتثريبًا ولعنًا وتكفيرًا وقدحًا فإنه كافر، خارج عن الملة بالكلية.

والرافضة لعنهم الله اللعائن المتتابعة يجعلون أبا بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا صنمي قريش، ويتعبدون لله جَلَّوَعَلَا بذكر صباحي ومسائي، وفي حسينياتهم يتضمن لعن أبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، اللهم العن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما... إلى آخر هذا الذكر المعروف عندهم، والذي يحفظونه أولادهم منذ صغرهم -والعياذ بالله-.

وللأسف يأتي بعض الحمقى يريد التقريب بيننا وبينهم، فأي تقريب بيننا وبينهم؟ تقريب بين أهل السنة والرافضة؟!!، وما هي نقاط الاتفاق حتى يكون هناك تقارب بيننا وبينهم، فهم لا ينتمون معنا في دين، فحتى الملبس لا يتفقون معنا فيه، وفي الحقيقة الرافضة ومن يسلك مسلكهم ينتمون لإيران في ملبسهم، وفي ولائهم، ولذلك لا تجد بيتًا من بيوتهم إلا وفيه صورة للخميني أو لرموزهم، بل في شوارعهم لا ينتمون للوطن، فهؤلاء كذَّابون، فهم لا ينتمون معنا لا في دين ولا في وطن، ولا في لباس، ثم يأتي بعضهم يتبجح ويقول: نحن نريد التقريب بيننا وبينهم لأجل المصلحة، فأي مصلحة يتكلمون عنها؟!

فلا زال هؤلاء الرافضة يروعوننا بين الفينة والأخرى بأعمال تخريبية تراق فيها الدماء، وتخوض فيها الفتنة الدهماء، فيجب أن لا ننخدع بهم، وأن

نعرف حقيقة هذه الطائفة الخبيثة، الخسيسة، فإنها من أخس الطوائف، وألعن الطوائف، وأكذب الطوائف، وأعدى الطوائف لأهل السنة والجماعة، ولأهل الإسلام، ولذلك لا تجد المصائب الكبيرة التي وقعت على أهل الإسلام إلا ووراءها الرافضة، فمن الذين تجرؤا وقتلوا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل إن القتال بين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتأليب آل البيت كان وراءه عبدالله بن سبأ اليهودي، الذي ينتسب إلى حب آل البيت والتشيع للرافضة، وانظر كيف دخل التتار والمغول إلى العالم الإسلامي وقتلوا ملايين من المسلمين حتى صار نهر دجلة والفرات لونه أحمر تارة، بسبب الدماء، وأزرق تارة بسبب الكتب التي تحرق وترمى فيه.

فلا تجد بلية من بلايا العالم الإسلامي على مدار التاريخ، إلا وتجد وراءها رافضي أو الرافضة، وهذا مذكور في كتب التاريخ، بل إن سقوط الدول ينسب إلى الرافضة، كسقوط الدولة الأموية، وسقوط الدولة العباسية، بل وسقوط الدولة العثمانية، ينسب إلى الرافضة.

ولاتزال الرافضة إلى الآن تجلب بخيلها ورجلها على العالم الإسلامي، حتى تحيطه بفكي الأسد، بكل أهل السنة والجماعة، حتى يبقى أهل السنة في دائرة الخطر فعلًا، فالرافضة يريدون أن يسقطوا تلك الدول، فهم متخصصون في الإيذاء، متخصصون في القتل، متخصصون في التعبد إلى الله بإراقة الدماء، متخصصون فيما يؤذي المؤمنين في أديانهم وأعراضهم، أفلا نزدجر! أفلا نفيق! .

فإن قلت: من سب الصحابة هل يكفر أو لا؟

نقول: أنه يكفر في عدة أمور:

الأمر الأول: إذا كان سبه متوجهًا إلى الشيخين.

الأمر الثاني: إذا كان سبه متجهًا إلى من تواترت الأدلة بفضله، فعندنا بعض الصحابة قد كثرت الأدلة في فضله غير الشيخين أبي بكر وعمر، مثل: عثمان، وعلي، وأبي هريرة، ومعاذ، والحسن بن علي، والحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا، وغيرهم من أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجمع كبير من أصحاب النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإذا كان سبّه متوجه للشيخين فهو كافر، وإذا كان سبه متوجه لرجل غير الشيخين وقد كثرت الأدلة في بيان فضل هذا الصحابي المسبوب فحينئذٍ من سبّه قد كفر؛ لأن سبّه تكذيب لهذه الأدلة وجحود وإنكار لها.

الأمر الثالث: إذا كان السب متوجهًا لأم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا بما برأها الله جَلَّ وَعَلَا منه من فوق سبع سماوات فإنه كافر مرتد.

الأمر الرابع: إذا كان سبّ أحد من الصحابة مقترنًا بدعوى أن علي إله، أو أنه أحق بالنبوة من محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن هذا الرجل كافر.

هذه جمل من المسائل التي تدخل تحت الكلام على أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وبيان بعض عقائدنا فيهم:

ثم قال الناظم بعد ذلك:

وَأَقُولُ فِي القُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ... آياتُهُ فَهْوَ الْكَرِيمُ الْمُنزَلُ

وَأَقُولُ قَالَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ... وَالْمُصْطَفَى الْهَادِي وَلاَ أَتَأَوَّلُ

هذان البيتان يتكلم الشيخ فيهما رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن جمل من المسائل:

المسألة الأولى: ما عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم؟

أقول-وبالله التوفيق-: مجمل عقيدتنا في القرآن الكريم في ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أنه كلام الله حقًا وصدقًا حروفه ومعانيه، فليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، بل كلام الله كله حروفه ومعانيه.

والدليل على ذلك قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:٦]، والمراد بسماع كلام الله هنا أي: القرآن، فالله تكلم بالقرآن حقيقة فسمع منه جبريل حقيقة، ثم نزل به الروح الأمين على قلب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

العقيدة الثانية: أن هذا القرآن منزل من الله، غير مخلوق، ولا يجوز وصفه بأنه مخلوق، وقد أجمع العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تعالى على أنه من قال بأن القرآن مخلوق فإنه كافر، خلع ربقة الإسلام من عنقه بالكلية، فالقرآن كلام الله منزل غير مخلوق.

وقد **شهدت الآيات الكثيرة بأن القرآن منزل، يقول الله** جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، ويقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٤]، فإذًا القرآن كتاب الله جَلَّ وَعَلَا منزل غير مخلوق، وأجمع العلماء على من قال بأنه مخلوق بأنه كافر.

العقيدة الثالثة: الإيمان بأنه من الله بدأ وإليه يعود، الإيمان بأنه من الله بدأ؛ بمعنى: أن الله عَزَّ وَجَلَّ هو أول من تكلم به.

مسألة: قد نسب الله تعالى القرآن مرة إلى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير:١٩، ٢٠]، وفي سورة الحاقة نسبه الله إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة:٤٠، ٤١].

كيف الجواب عن هذا الإشكال؟

الجواب: إضافة القرآن إلى أنه قول جبريل وقول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي إضافة تبليغ لا ابتداء، فأول من ابتدأ بالكلام بالقرآن هو الله، ثم سمعه جبريل فبلغه، إذًا إضافته إلى جبريل إضافة تبليغ، وكذلك إضافته إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما هي إضافة تبليغ.

وقوله: وإليه يعود؛ أي: أن القرآن يُسرى به من المصاحف والصدور في آخر الزمان، نسأل الله أن نموت قبل أن يرفع كتابه عن أرضه، قولوا آمين؛ لأنها من أعظم الفتن أن يرفع كتاب الله من الأرض، فيأت الناس إلى هذه

المصاحف فيفتحونها فلا يجدون إلا أوراقًا بيضاء أو صفراء، ولا يبقى إلا من يحفظه، فيتضارب الناس عليه شرقًا وغربًا حتى يسمعوا منه كلام الله، ثم ينام الحافظ في ليلة من الليالي فيرفع فيقبض القرآن من صدره، فيقوم ولا يعرف منه حرفًا واحدًا، ويكون ذلك إذا تركت الأمة العمل بالقرآن.

- **مسألة: هل تركت الأمة العمل به؟**

الجواب: أغلب الأمة الآن هجرت القرآن، وهجر القرآن شيء قديم من عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويدل عليه قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الفرقان: ٣٠]، فكيف بهجره في هذا الزمان!

فللأسف الشديد تجد الكثير من الدول استبدلت التحاكم إلى القرآن وشريعة الله عَزَّوَجَلَّ بقوانين وضعية، فالقرآن الآن نُسِفَ الحكم به والتحاكم إليه في كثير من الدول- وإنا لله وإنا إليه راجعون -.

فإن قلت: وهل القرآن يتفاضل؟ وهل يجوز أن نطلق أن بعض القرآن أفضل من بعض؟

الجواب: القول الفصل، وتحقيق القول في هذه المسألة أن نقول: إن القرآن يتفاضل باعتبار، ولا يتفاضل باعتبار آخر، فهو لا يتفاضل باعتبار المتكلم به؛ لأن المتكلم بجميع الآيات هو الله عَزَّوَجَلَّ وحده لا شريك له،

ولكنه يتفاضل باعتبار معانيه وإعجازه؛ بمعنى: يتفاضل بالنظر إلى ذات الكلام.

فمثلًا قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:١]، وقوله تعالى: ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾ [المسد:١]، فهتان الآيتان لا يتفاضلان باعتبار المتكلم بهما، ولكنهما يتفاضلان باعتبار معانيهما، فهذه الآية ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:١] تتكلم عن الله عَزَّوَجَلَّ، وهذه الآية ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾ [المسد:١] تتكلم عن أبغض الخلق إلى الله وهو أبو لهب.

وكذلك أيهما أعمق معاني آية الكرسي أم قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة:١٨٢]؟ بالتأكيد آية الكرسي، ولذلك وردت الأدلة في تفضيل بعض القرآن على بعض، فقد ورد في صحيح مسلم: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟**» فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «**اللهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ**»(١)، والسبب في أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن هو: أن القرآن إما خبر عن الله، أو خبر عن شيء من مخلوقاته، أو تشريع.

فـ ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:١] تعدل ثلث القرآن؛ لأنها تخبر عن الله عَزَّوَجَلَّ، فليس فيها تشريع، ولا تتكلم عن أحدٍ من المخلوقات، ولا جنة، ولا نار، ولا جن، ولا ملائكة، ولا أنبياء ولا غيره، وإنما أخلصت في الكلام عن الله عَزَّوَجَلَّ، وكذلك يقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في تفضيل آية الكرسي:

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [فَضْلِ ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾] (٦/ ١٨٩)، برقم: [٥٠١٥].

«**إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّىٰ تَخْتِمَ الآيَةَ:** ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وَقَالَ لِي: «**لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تُصْبِحَ**»[(١)].

وأجمعت الأمة على أن أفضل سور القرآن على الإطلاق هي سورة: الفاتحة؛ لأنها اشتملت على جميع مقاصد القرآن، فاشتملت على كيف نعبد الله عَزَّوَجَلَّ في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، فالعبودية لا تكون إلا بالتقوى التي تتكلم عنها سورة البقرة، والعبودية لا تكون إلا بمحبة الله وهي تتكلم عنها سورة آل عمران، والعبودية لا تتم إلا برحمة الخلق التي تتكلم عنها سورة النساء، فصار جميع السور التي تأتي بعد الفاتحة كلها تحقق مقصود الفاتحة وهي العبودية، فصارت العبودية هي أعظم سور القرآن التي تخصها الفاتحة، إذًا المقصود الأعظم من القرآن هو العبودية، وقد أنزل الله جَلَّوَعَلَا هذا الكتاب حتى نعبده.

فالقرآن: يتفاضل باعتبار معاني الكلام وإعجازه، ولا يتفاضل باعتبار المتكلم به.

وقد كان للمعتزلة عليهم من الله ما يستحقون في العالم الإسلامي جولات وصولات، في عهد المأمون وفي عهد ابنه المعتصم، وفي عهد ابنه الثالث الواثق بالله، وكان الذي تولى كبر القول بخلق القرآن قاضي القضاة:

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [إِذَا وَكَّلَ رَجُلًا، فَتَرَكَ الوَكِيلُ شَيْئًا فَأَجَازَهُ المُوَكِّلُ فَهُوَ جَائِزٌ، وَإِنْ أَقْرَضَهُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى جَازَ] (٣/ ١٠١)، برقم: [٢٣١١].

أحمد بن أبي دُؤَاد عليه من الله ما يستحق.

الذي يسميه أهلُ السنة أحمد الفتنة، ويسمون الإمام أحمد بن حنبل أحمد السنة، وسبحان الله كلهم أحمد، ولكن الاتفاق في الأسماء لا يلزم منه الاتفاق في الصفات كما هو معلوم.

فكان المعتزلة يصرحون -بقوة الأمير والسلطان- بأن القرآن مخلوق، وكانوا يقولونها على المنابر، وكانوا يأمرون الناس بها أمرًا لسانيًا من غير قوة ولا سلطان، فلما تعدت بهم الحال وسوس ذلك الشيطان المريض أحمد بن أبي دؤاد إلى المأمون بأن يحمل الناس قهرًا بالحديد والنار على القول بخلق القرآن، وأنَّ من لا يقول بخلق القرآن، يسجنه ويقتله أو ينفيه من بلده.

فزين له ذلك الأمر وبدأ المأمون يحمل الناس على القول بخلق القرآن، وعُذب أهل السنة في عهد المأمون بهذا السبب عذابًا كبيرًا وعُربت كتب اليونان، وزاد البلاء بلاءً والطين بلة، وصار أهل السنة في كربةٍ عظيمة لا يعلمها إلا الله، وممن عُذب في هذا العصر الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد كان المأمون يأمر بضربه بالسياط وأن يطاف به راكبًا مقلوبًا على الدابة من باب إهانته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكان يراد منه أن يقول القرآن مخلوق، ولكن أبى الإمام أحمد أن ينطق لسانه وجنانه بهذه الكلمة، وكثيرٌ من أهل السنة صبر وصابر، ومنهم من مات ومنهم من نفي من بلده، ومنهم من طال سجنه، وسُجن الإمام أحمد سجنًا طويلًا وعُذب في الله عذابًا عظيمًا.

وأمر المأمون يومًا من الأيام بأن يُنقل إليه الإمام أحمد في طرسوس، وهي بلدة كان يسكنها المأمون، ويجلس فيها كثيرًا، فرفع الإمام أحمد يديه وقال: اللهم لا تريني وجه المأمون، فمات المأمون قبل وصول الإمام أحمد إليه، وليت المحنة ارتفعت عن المسلمين والمصيبة انكشفت والغمة انقلعت، لا، بل ازداد الأمر سوءًا بتولية الخليفة الثاني المعتصم، وهؤلاء في الجهاد ما قصروا في دين الله، لكنهم في العقائد معتزلة، فقد كان المأمون والمعتصم معتزلي العقيدة، أي أنهم في الجهاد والفتوحات يُشكرون، أما في مسائل العقيدة فيُخلطون.

ولا يزال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سجنه يُعذب ولا يزال هؤلاء القرود والخنازير من المعتزلة يصرحون بأن القرآن مخلوق على المنابر ويأمرون الناس بها، ويبحثون عن من يقول بغير ذلك؛ ليكون مصيره إلى السجن أو القتل.

وكان المعتصم قد تولى جلد الإمام أحمد بيديه، فمات المعتصم وليت المحنة انكشفت عن المسلمين والغمة انقلعت بل تولى بعده رجلٌ يقال له الواثق بالله ابن المعتصم، وزاد الأمر سوءً وبلاءً أنه صبي جاهل وغلام لا يعرف أبعاد الأمور واستولى عليه المعتزلة، وعمروا بساط داره، وصاروا يأمرونه بضرب الناس وحبسهم أو قتلهم أو نفيهم من بلادهم إذا لم يصرحوا بأن القرآن مخلوق.

على ثلاثة عصور خلفاء، والإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يؤذيه هؤلاء في ذات الله جَلَّ وَعَلَا.

مات الواثق وجاء بعده إمام من أئمة أهل السنة، كشف الله به المحنة، ورفع الله به الغمة، وأقلعت به سحب المعتزلة، وهو المتوكل على الله.

طرد المعتزلة من بساط الحاكم وأخرج علماء أهل السنة من السجون، وقطع حلقات المعتزلة من المساجد وأحيا في المساجد حلقات أهل السنة وأهل الحديث، فجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء، وأعز الخليفةُ الإمامَ أحمد وأكرمه وأغدق عليه الأموال الطائلة، ولكن الإمام أحمد لم يأخذ منها درهمًا واحدًا.

وكان الإمام أحمد يقول: والله إن فتنتي في عصر المتوكل أشد عليَّ من فتنتي فيمن قبله، لأن هذه فتنة بالرخاء، والسابقون فتنة بالضراء، والله جَلَّ وَعَلَا يقول ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗ﴾ [الأنبياء:٣٥].

والناس قد يصبرون على الأمراض لكن ما يصبرون على المال، فتنة المال عظيمة، فتنة الصحة عظيمة، قليل من يشكر الله جَلَّ وَعَلَا على تلك النعم، فقلع الله جَلَّ وَعَلَا سحب المعتزلة، واندحروا كالجرذان في جحورهم مرة أخرى، ولم يستطيعوا أن يصرحوا بما كانوا يصرحون به في عهود العصور الثلاثة السابقة.

فقالوا كلمةً شيطانيةً خبيثة تنبئ عن فساد معتقدهم لكنها كلمةً مجملة محتملة للحق والباطل، ويريدون بها أن يدغدغوا مشاعر أهل السنة والجماعة.

والمعتزلة أصحاب عقول أذكياء، دهاة العالم لكن ذكاؤهم هذا لم يؤت ذكاءً من نور الكتاب والسنة فقالوا كلمة خبيثة شيطانية، تلك الكلمة هي:

ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، هذه الكلمة كانوا يقصدوا بها المعنى الحقيقي لمعتقدهم بأن القرآن مخلوق، ولكن إذا أنكر عليهم أهل السنة، كانوا يُفسرونها بمعتقد أهل السنة.

فلما بلغت هذه الكلمة الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد انتشارها واستعجال بعض أهل السنة هداهم الله في استخدامها، قال كلمته المشهورة: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، أي معتزلي، ومن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع.

فالمتقرر عند علماء أهل السنة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: أن الكلمة المجملة التي تحتمل الحق والباطل، لا يجوز أن نقبلها مطلقًا؛ لأن فيها باطل والباطل ما يقبل، ولا يجوز أن نردها مطلقًا لأن فيها حقًا والحق ما يرد.

فمذهب أهل السنة والجماعة في الألفاظ المجملة أننا نستفصل فيها؛ حتى يتميز حقها من باطلها فيقبل الحق ويرد الباطل.

كلمة (لفظي): مصدر، والمصدر يصدق على الفعل والمفعول.

مثال: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:١]؛ أي عند قراءة القرآن، فالصوت الذي أديت به القرآن هو صوتي، وأنا مخلوق، وحركات الحلق والحبال الصوتية واللهاة وانفتاح الشفتين وحركة اللسان، بهذه الأشياء أديت لك القرآن.

وأما المسموع فهو كلام هذا كلام الله غير مخلوق، إذًا التلاوة فعلٌ للعبد وهي مخلوقة، ولكن المتلو هذا كلام الله وليس بمخلوق.

فهناك فرقٌ بين ما ينسب إليك أنت فهو مخلوق وبين وما ينسب إلى الله وهو كلامه وصفته هذا غير مخلوق؛ ولذلك يقول الإمام: حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فالصوت والألحان صوت القاري... لكن المتلو قول الباري

وكلها يصدق عليها قولهم لفظي بالقرآن مخلوق.

وهنا مسألة: هل يُقصد بقولهم (**لفظي**) أي الرجوع على القائل، أم يقصد به ما يرجع إلى الله جَلَّ وَعَلَا فصارت الكلمة مجملة.

وهنا يظهر خبثهم، فهم يقصدون بذلك عقيدتهم أن القرآن مخلوق، ولكن إذا ألزمهم أهل السنة هربوا إلى معنى أن صوتي بتلاوة القرآن هو المخلوق، أما القرآن فهو كلام الله غير مخلوق.

وللأسف التبس الأمر على بعض العلماء، ولكن الإمام أحمد - رحمه الله - فَطِنَ إلى هذا الأمر، وقال: لفظي بالقرآن غير مخلوق فرد الكلمتين جميعًا.

أما كلمة لفظي بالقرآن غير مخلوق، أيضًا فيها حقٌ وباطل، فإذا كان يقصد بقوله لفظي بالقرآن غير مخلوق أي يقصد أن القرآن كلام الله وهو غير مخلوق فهو حق، أما إذا كان يقصد بلفظي أي صوته هو الذي يتلو به غير مخلوق فهو بدعة، كيف تزعم أن فيك شيئًا غير مخلوق.

ولذلك قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع؛ لأنه يجعل في نفسه شيئًا غير مخلوق، ويقول قولًا مجملًا يحتمل الحق والباطل، وهكذا أهل السنة يفهمون كلام هؤلاء الخفافيش الذين

يريدون أن يدسّوا السم في العسل، ويدسوا الحية في التبن حتى تصطاد أهل السنة ولا يشعرون بها، لكن أهل السنة أصحاب عقول كاملة يعرفون ما يدور على ألسنة هؤلاء ويعرفون الحق والباطل، ولذلك عندي رسالة صغيرة اسمها «**رسالة في بيان قاعدة أهل السنة والجماعة في الألفاظ المجملة**» وهي أصل من أصول أهل السنة والجماعة، خاصة في هذا الزمان فإنهم يعطونك كلمات مجملة فيها حق وباطل؛ ليدغدغوا مشاعر أهل السنة.

وهناك كلام نُقل عن الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقوله بأن ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة، ولكن لا يصح ذلك عنه.

يقول الناظم:

وَأَقُولُ: قَالَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ... والمُصطَفَى الهَادِي وَلا أَتأَوَّلُ

فهذا البيت يعبر عن مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة، فهو بيت صغير ولكنه يعبر عن أصل عظيم من أصول أهل السنة والجماعة، وهي مصادر التلقي، فهم لا يتلقون معتقداتهم إلا من كتاب الله جَلَّ وَعَلَا وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على فهم سلف الأمة الصالح، فنحن لا نأخذ معتقداتنا من عقولنا كما فعله الفلاسفة، ولا نأخذ معتقداتنا من الوجد والأذواق، والمنامات والرؤى كما فعله الصوفية، ولا نأخذ معتقداتنا من مجرد الأحاديث الواهية المنكرة المكذوبة على آل البيت كما فعله الرافضة.

ولا نأخذ معتقداتنا من أي شيء آخر وإنما مصدر تلقي الاعتقاد عندنا إنما هو الوحي كتابًا وسنة كتاب الله جَلَّ وَعَلَا وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا

يأخذ أهل السنة والجماعة في مسائل العقيدة باستدلالات قولية لفلان وفلان، ولكن قال الله، قال رسوله، هذا هو الاستدلال الصحيح على مسائل العقيدة، وإنما من حكّم الوحيين؛ حتمًا سيهتدي كما **قال الناظم:**

فحكم هديت الوحي في كل مورد... فمن حكم الوحيين حتمًا سيهتدي

يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي**»(١)، فمن اعتصم بالكتاب والسنة واستمسك بهما وعض عليهما بالنواجذ في الاستدلال على مسائل العقيدة فإنه على خيرٍ عظيم.

وأما كيفية التلقي: فهي عن طريق فهم سلف الأمة وأئمتها.

قال: «وَلَا أَتَأَوَّلُ»؛ لو قال: لا أحرف لكان أفضل، ولكنها لامية تنتهي بحرف اللام فقال لا أتأول، ويقصد هنا التأويل الباطل.

وبيان ذلك أن نقول: أن التأويل له ثلاثة معان، معنيان مأثوران عن السلف، ومعنى لا يعرفه السلف.

فالمعنى الأول: التأويل بمعنى حقيقة الشيء التي يؤول إليها.

ولذلك يكون تأويل الرؤيا وقوعها على أرض الواقع، وعلى ذلك قول يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبيه يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لما وقعت الرؤيا وسجد له أبوه وأمه وأخوته، **قال تعالى:** ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (١/ ١٧٣) برقم: [٣١٩]، حسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١/ ٦٦) برقم: [١٨٦].

﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ [يوسف: ١٠٠]، أي أن هذا حقيقة رؤياي، فالتأويل الذي يُعرف، وعليه القرآن والسنة والسلف هو: التأويل بمعنى حقيقة الشيء، فإذا أمرنا الله بأمرٍ فتأويله تنفيذه.

وعلى ذلك ما في «الصحيحين» من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا قالت: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ «**يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ**»(١).

بمعنى أن يُنفذ أمر الله في القرآن في قوله ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١-٣].

فبدأ بتنفيذ الأمر في سجوده وركوعه سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي.

إذًا تأويل الأمر تنفيذه، وتأويل النهي اجتنابه.

وكذلك من معنى التأويل الوقوع: كما في الأحاديث الصحيحة أن الشمس سوف تطلع من مغربها وتأويل الخبر هو خروجها على أرض الواقع من مغربها، وكذلك أخبرنا الدليل أن الدجال سيخرج وتأويل الخبر هو خروجه على أرض الواقع.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» باب: [التَّسْبِيحِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ] (١/ ٢٨٧)، برقم: [٨٨٩]، وصححه الألباني في تخريجه لـ «تحقيق الإيمان لابن تيمية» (١/ ١٤٨).

وكذلك أخبرنا الدليل أن القيامة سوف تقع، وتأويله هو قيامها حقيقة، وأخبرنا الدليل أن الناس سوف يبعثون من قبورهم وسوف يُجزون ويُحاسبون ويستلمون صحفهم ويدخلون الجنة أو النار وتأويلها هو وقوع ذلك.

وعلى ذلك قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [الأعراف:٥٣].

فهذا التأويل هو الذي جرى عليه القرآن من أوله إلى آخره أن لفظة تأويل، المراد بها حقيقة الشيء على ما هو عليه في الواقع ومنه قول الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لموسى لما وقع كل شيء قال: ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف:٨٢]؛ فهذا هو حقيقة الشيء الذي لم تستطع أن تصبر عليه.

فإذًا التأويل الذي جرى عليه مصطلح القرآن هو: حقيقة الشيء.

أما المعنى الثاني: بمعنى التفسير، ومنه قول الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: «**البيان عن تأويل آيات القرآن**» يقول: القول في تأويل قول الله كذا وكذا هو كذا وكذا، أي التفسير، وإجماع أهل السنة والجماعة أن هذا التأويل مقبول.

المعنى الثالث: إخراج المعنى عن حقيقته، وهو المعنى الذي ما عرفه سلف الأمة، ولا يجري عليه اصطلاح القرآن، وإنما الذي ابتكره أول من ابتكره المعتزلة، وابتكروه حتى يدسّوا السم في العسل.

والمعنى الذي كان يقصده ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا هو المعنى الثالث.

مثال ذلك قولهم في قوله: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، يقولون لا يريد الله حقيقة اليدين، وإنما هي مؤولة إلى النعمة والقدرة وهذا تأويل.

وكذلك قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]؛ يقولون: لا يريد الله به حقيقة الاستواء والعلو والقعود والاستقرار، وإنما يقصد به الاستيلاء وهذا ليس تحريفًا بل تأويلًا فيسمون تحريفاتهم تأويلًا حتى تقبل.

وقد جعل الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ التأويل من جملة الطواغيت، التي انصبّ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على كسر هذه الطواغيت كما في «الصواعق المرسلة».

وقالوا فيه: أن هذا التأويل بمعنى الانصراف عن الظاهر إلى معنى آخر لم يعرفه القرآن، لم يجر عليه عرف القرآن، ولا يعرفه أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ولا يعرفه التابعون، ولا يُقِر به علماء أهل السنة والجماعة بل ينكرونه باعتبار ويقبلونه باعتبار.

أما بالنسبة لأهل السنة فالمعنى الثالث هذا مقبول أم غير مقبول؟ قالوا: اصبر ننظر إلى مقتضى السبب في الاعتقاد إن كان اعتقادنا من الظاهر إلى معنى آخر بمقتضى دليل مقبول صحيح، فهذا تأويلٌ مقبول، وإن كان الانصراف ليس عن دليل ولا بمقتضى دليل فهذا غير مقبول.

مثال: جاء الأشاعرة إلى قول الله جَلَّ وَعَلَا ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، وقالوا إن الوجه هنا لا يراد به حقيقة الوجه بل نحن

نتقل من الوجه إلى الذات، فهم انتقلوا من الظاهر إلى معنى آخر، فهل هذا الانتقال بمقتضى الدليل أم بمقتضى العقائد الفاسدة الباطلة؟

الجواب: ليس بمقتضى دليل، بل هو بمقتضى العقائد الباطلة الفاسدة، سبحان الله إذًا هذا تأويلٌ مرفوض عند أهل السنة والجماعة.

مثال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**يَنْزِلُ رَبُّنَا**»(١)؛ ظاهر الكلام أن الذي ينزل هو الله، الأشاعرة رفضوا، وقالوا: لا، تعالى الله عن النزول، فإذا قلنا لهم: إذًا فمَن الذي ينزل؟

قالوا: سوف ننتقل من ظاهر الكلام إلى معنى آخر.

فقلنا لهم: أعطونا دليلا على ذلك.

قالوا: الذي ينزل هو رحمة الله أمر الله ملك من ملائكة الله.

إذًا هم انتقلوا من المعنى الظاهر إلى معنى آخر، هل هذا الانتقال تم بمقتضى دليل أم غير دليل؟ بغير دليل إذًا فمثل هذا لا يُقبل عند أهل السنة والجماعة.

إذًا التأويل بالمعنى الثالث إذا كان الانتقال فيه بدون دليل فلا يسمى تأويلًا وإنما سماه القرآن تحريفًا، كقول الله جَلَّ وَعَلَا: يحرفون ما قال يؤولون

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح:١٥]] (٩/ ١٤٣٩) برقم: [٧٤٩٤]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [التَّرْغِيبِ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، وَالْإِجَابَةِ فِيهِ] (١/ ٥٢١) برقم: [٧٥٨].

بل قال: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦]؛ فالله جَلَّ وَعَلَا سماه تحريفًا ولم يسمه تأويلًا، ولذلك انتقال الأشاعرة من نزول الله إلى نزول الملك والرحمة والأمر نسميه تحريفًا.

مثال: انتقال الأشاعرة من اليد إلى النعمة والقدرة نسميه تحريفًا.

وانتقال أهل البدع من الاستواء إلى الاستيلاء تحريف.

مثال ذلك: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا، فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا، فَلْيَطْعَمْ**»[1]؛ فمعنى الصلاة هنا انتقل من المعنى الظاهري إلى معنى آخر، فظاهر الكلام أنه يُقصد بـ «**فليُصل**» أنها الصلاة الشرعية، لكن المعنى المقصود به هنا الدعاء، فإن كان هذا المعنى له دليل فهو مقبول، وإن لم يكن له دليل فهو تحريف.

هل هناك دليل على هذا الانتقال من معنى إلى معنى؟

نعم، وهي رواية أبي داود في قوله: «**فَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ، وَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيَدْعُ**»[2] اللهم اغفر لكم يا أصحاب الطعام، اللهم اجزهم خيرًا، اللهم اغفر لهم، فهم يأكلون، وأنت تدع، وإلا فأفطر معهم وتقضي يوما

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [الْأَمْرِ بِإِجَابَةِ الدَّاعِي إِلَى دَعْوَةٍ] (٢/ ١٠٥٤)، برقم: [١٤٣١].

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِي إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ] (٣/ ٣٤٠)، برقم: [٣٧٣٧]، أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ٢٣١)، برقم: [١٠٥٦٣]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ١٥٤)، برقم: [٥٣٣].

آخر، إذا لم يكن صومك واجبًا.

وإن من يصبره الله على رؤية الطعام وهو صائم ولا يفطر، فهذا قد أتاه الله قوة وشكيمة وجلدًا على انتصار نفسه.

إذًا التأويل بالمعنى الثالث: لا نرده مطلقًا ولا نقبله مطلقًا، بل نوقفه على الاستفصال، فإن كان يراد به الانتقال بمقتضى الدليل؛ فهو مقبول، وإن كان الانتقال بغير دليل فهذا لا نسميه تأويلًا وإنما نسميه تحريفًا.

ثم انتقل بعد ذلك إلى عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات:

وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمِرُّهَا... حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الأَوَّلُ

وَأَرُدُّ عُهْدَتَهَا إِلَى نُقَّالِهَا... وَأَصُونُهَا عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

فهذان البيتان يتكلم فيهما أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن باب كبير من أبواب العقيدة وهي باب الأسماء والصفات.

والكلام على هذا الباب فيه جملٌ من القواعد:

- **القاعدة الأولى: قاعدة أهل السنة والجماعة في الإثبات:**

وهي أننا نثبت لله جَلَّ وَعَلَا ما أثبته لنفسه في كتابه من الأسماء والصفات، وما أثبته رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صحيح سنته، إثباتًا من غير تكييفٍ ولا تعطيل، ومن غير تمثيل ولا تحريف؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وكما قال الناظم:

أثبت صفات الرب إثباتًا بلا... تكييف أو تحريفٍ أو بهتانِ

فالله ليس كمثله شيء ولا... كفء له وتعالى ذو السبحان

- **القاعدة الثانية: قاعدة أهل السنة والجماعة في النفي:**

أننا ننفي عن الله ما نفاه عن نفسه في كتابه، أو نفاه عنه رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صحيح سنته، مع إثبات كمال الضد لله جَلَّ وَعَلَا، فهذه الذي تزيد فقط «**مع إثبات كمال الضد**».

مثاله: من الصفات التي نفاها الله عن نفسه صفة الظلم، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٩]؛ فالواجب أن تنفي صفة الظلم ولا تكتفي بهذا وإنما تثبت لله ضد الظلم وهو العدل فتقول الله لا يظلم، لكمال عدله.

مثال: من الصفات التي نفاها الله عن نفسه صفة النوم، والنعاس، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٥]؛ فالصفة المنفية السِّنة والنوم، والواجب هنا أن ننفي صفة النوم، فنقول: الله لا ينام لكمال حياته وقيوميته جَلَّ وَعَلَا.

فلأنه الحي القيوم فلا ينبغي للحي القيوم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن ينام أو أن تأخذه سنة أو نوم، ولذلك في «صحيح الإمام مسلم» من حديث أبي موسى، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: إِنَّ اللهُ لَا يَنَامُ، وَفِي قَوْلِهِ: =

ومثاله: قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق:٣٨]؛ واللغوب هو العجز والضعف والإعياء لكثرة لعمل.

فالصفة المنفية هي صفة العجز التي هي اللغوب، والواجب علينا أن ننفي صفة اللغوب فنقول: الله لا يأخذه اللغوب، لكمال قدرته وقوته جَلَّ وَعَلَا.

فلا يجوز لك أن تنفي فقط لأن النفي بدون كمال لا يدخل في صفات الله، والذي يسميه العلماء بالنفي المحض، والنفي المحض ليس كمالًا، كقولك: إن هذا الجدار لا يظلم، فهل هذا مدح للجدار؟ لا، فهو لا يظلم لأنه عاجز عن الظلم فليس عنده أصلًا قدرة على الظلم.

ولذلك يقول الناظم في ذم قبيلتهم، قال:

قُبيلةٌ لا يغدرون بذمةٍ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

وهذه الصفات ليست سيئة، ولكنها ليست بمدح فيهم، لأنه قال: **قُبيلةٌ**، والقبيلة هنا للتصغير والتحقير، فنفى عنهم صفة الغدر لعجز هذه القبيلة أصلًا عن الغدر وليس لكمال العدل فيها، **ولا يظلمون**، لعجزهم أصلًا عن ظلم بقية القبائل.

....

=

حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ] (١/ ١٦٢)، برقم: [١٧٩].

• القاعدة الثالثة: وهي قاعدة أهل السنة والجماعة فيما لم يرد فيه دليل بخصوصه:

وهنا يجب أن ننتبه، فممن ابتلانا الله بهم بلاءً عظيمًا المبتدعة، ومن جملة صورة ابتلائنا بأهل البدع أنهم بدأوا يتكلمون بصفات لا نجد لها دليلًا لا من الكتاب ولا من السنة في أعيانها، فبعض أهل البدع يضيفها إلى الله، وبعض أهل البدع ينفيها عن الله.

والإثبات والنفي عند أهل السنة مبني على إثبات الدليل، وهذه الصفات إذا فتحت القرآن من أوله إلى آخره ما وجدت لها ذكرًا ولا أثرًا بأعيانها.

مثالها: صفة الجهة، فهل يقال الله في جهة أو ليس في جهة؟

فالجهة هذه ليست في القرآن لا إثباتًا ولا نفيًا عن الله جَلَّ وَعَلَا بعينها.

ومثل الحيز، فهل يقال الله في حيز أو ليس في حيز؟، ومثل المكان، فهل يقال الله في مكان أو ليس في مكان، وغير ذلك من أمثلة مذكورة ومفصلة في رسالة لي اسمها «**رسالة في بيان قاعدة أهل السنة والجماعة في الألفاظ المجملة**».

وبيَّن أهل السنة أن في لفظ (**الجهة**) لنا فيها مذهبان، مذهبٌ في نفس اللفظ، ومذهبٌ في المعنى.

فمذهبنا في اللفظ سهل وبسيط نقول فيه: أما لفظ الجهة، فنتوقف فيه فلا نثبته ولا ننفيه.

وأما معناه ففيه تفصيل: فإن أريد الحق قبلته، وإن أريد الباطل رددته.

فما لم يرد فيه دليلٌ بخصوصه، فلا نثبت لفظه ولا ننفيه، ونستفصل في معناه فإن أريد الحق قبلناه وإن أريد الباطل رددناه.

ففي لفظ الجهة نقول: أما لفظ الجهة فلا نثبته ولا ننفيه، بمعنى لا نقول الله في جهة إثباتًا ولا نقول الله ليس في جهة نفيًا، وأما معناه نستفصل فيه.

فإن قال أقصد بها جهة سفل فهل هذا معنى مقبول على الله جَلَّ وَعَلَا ؟

فنقول: لا يا أخي، هذا باطل؛ لأن السفل نقص والله منزه عن النقص، وإن قال أقصد بها جهة علوٍ على ما يليق بجلال الله وعظمته غير محيطة بالله، فهذا المعنى هو الحق.

لكن التعبير عن الأمور الشرعية بألفاظ النصوص أولى، كما هو متقرر عند أهل السنة والجماعة، فنقول له: عبر عن ذلك كما وردت به النصوص، وقل: الله في السماء، مستو على عرشه، سبحانه وتعالى .

- **القاعدة الرابعة: أسماء الله وصفاته مبنية على التوقيف.**

والمراد بالتوقيف أي دليل الكتاب والسنة، فتسمية الله أو وصف الله جَلَّ وَعَلَا ليس مفتوحًا أمام العقول والأهواء والشهوات، والمذاهب وآراء الرجال والنقول الواهية الضعيفة، لا، بل هو باب توقيفي على ما أثبته الدليل من الكتاب والسنة فإذًا لا يجوز أن نسمي الله جَلَّ وَعَلَا إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو سماه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صحيح سنته، ولا يجوز أن نصف الله إلا بما وصف به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صحيح سنته؛ لأن أسماء الله مبنية على التوقيف.

فباب أسماء الله مبني على التوقيف على دلالة الكتاب والسنة، فنحن نسميه الله؛ لأن الدليل دل على جواز تسميته بذلك، ونسميه الرحمن، الرحيم، العزيز، القيوم، الجبار، الحي، المؤمن، المهيمن، الغفور، وغير ذلك من الأسماء؛ لأن الدليل أثبت كونها أسماء لله جَلَّ وَعَلَا.

فمن الإلحاد في أسماء الله أن تطلق على الله أسماء ليس لها دليل في كتاب الله أو في سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مثل إطلاق النصارى على الله أنه الأب؛ لأن في عقيدتهم عقيدة التثليث يزعمون أن الله هو الأب، - تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا -، وهي تسمية باطلة؛ لأنها مبنية على عقيدة شركية وثنية إبليسية ؛ ولأنه ليس هناك دليل يدل على أن من الأشياء التي تطلق على الله الأب، بل نفى الله عنه الأبوة في قوله: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الإخلاص:٣]؛ أي لا أصول لله ولا فروع، فليس له آباء ولا أجداد ولا أمهات ولا ذكور، وليس له أبناء ولا بنات، ولذلك من الفرية أن تزعم أن الله جَلَّ وَعَلَا له صاحبةٌ أو ولد؛ ولذلك ما عصي الله بذنبٍ أعظم من ذنب النصارى الذين قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم، أو أن المسيح ابن مريم هو ابن الله، أو ثالث ثلاثة.

ومن الإطلاقات الباطلة أيضًا: إطلاق الصوفية على الله بقولهم: صاحب الفيوضات، وهذا كله باطل؛ لأنه ليس هناك دليل يدل على جواز تسمية الله بذلك.

ومنها أيضًا إطلاق الفلاسفة على الله قولهم: العقل الفعال، وهذه التسمية غير صحيحة؛ لأن أسماء الله وصفاته مبنية على التوقيف، وليس هناك دليل

يدل على جواز تسمية الله بذلك.

وكذلك: إطلاق القديم على الله فهذا إطلاق لا يجوز؛ لأن أسماء الله مبنية على التوقيف، وليس هناك دليل لا من كتاب الله جَلَّ وَعَلَا، ولا من سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تدل على أن من جملة ما يطلق على الله إطلاق اسم القديم؛ ولأن أسماء الله الحسنى وسر الحسن فيها تضمنها صفات كمال، وكلمة القديم ليس فيها صفة كمال، فلا يكون من أسماءه سبحانه القديم.

فإن قلت: وهل اسم الدهر نطلقه على الله أم لا؟

الجواب: ما ورد في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ: وَأَنَا الدَّهْرُ**»(١)؛ والدهر هنا ليست نسبة تسمية، ولا وصف وإنما نسبة تدبير وتقليب وتصريف، بدليل أن الله فسر هذه النسبة بقوله: بيده الأمر يقلب الليل والنهار.

فالدهر هو المُقَلب، والذي يقلبه ويصرف أحوال الناس فيه هو الله جَلَّ وَعَلَا، فنسبة الدهرية إلى الله هنا ليست نسبة تسمية، وإنما نسبة تصريف وتقليب وتدبير، -والله أعلم-.

---

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:١٥]] (٩/ ١٤٣)، برقم: [٧٤٩١]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ] (٤/ ١٧٦٢)، برقم: [٢٣٤٦].

- **القاعدة الخامسة: الواجب في نصوص الصفات إثباتها، ونفي مماثلها بصفات الخلق وقطع الطمع في التعرف على الكيفية.**

فكل نص من نصوص الصفات يمر عليك في الكتاب والسنة، فقف عنده حتى تحقق فيه ثلاثة واجبات.

الواجب الأول: أن تؤمن وتثبت الصفة التي يدور حولها النص.

مثل الوجه، السمع، اليدين، البصر، وغيرها من الصفات.

الواجب الثاني: أن تعتقد أن الله لا يماثله شيءٌ في هذه الصفات، فننفي المماثلة، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ويقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، أي نظيرًا، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٤].

وفي القراءة الأخرى ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُؤًا أَحَدٌ﴾، ويقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل:٧٤]؛أي لا تقولوا وجه الله مثل كذا، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة:٢٢]، أي: أشباه ونظراء.

الواجب الثالث: وهو قطع الطمع، في التعرف على كيفية هذه الصفات، أي: قطع طمع النفس والقلب، فالله مهما حاولت وفعلت وفكرت، فلن تستطيع أن تتعرف على شيء من كيفيات صفات الله أبدًا؛ لأن كيفية الشيء لا تعرف إلا بثلاثة طرق:

الطريقة الأولى: الرؤية، مثلًا: اشتريت سيارة جميلة هذا الصباح، فقال لي أحدهم وكيف هي؟، فقلت: انظر لها هي هناك، فذهب وخرج وعرف

كيفيتها.

وقد أجمع علماء الإسلام على أن الله لم يراه أحد في الدنيا، واختلفوا في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحيح أنه لم يره أيضًا، وإنما رآه رؤية منامية لا يقظة.

الطريقة الثانية: أن ترى شيئًا يماثله.

وبرؤية المثيل يمكنك أن تعرف صفات الشيء الذي غاب عنك، مثالًا: اشتريت سيارة بالأمس من أحد المعارض، فقلت: سيارتي مثل سيارة عبد الله نفس الموديل، فعرفت الصفات الغائبة عنك برؤية ما يماثلها، وهذه الطريقة لا يمكن تطبيقها في صفات الله تعالى؛ لأنه ليس هناك صفاتٌ تماثل صفات الله، حتى إذا رأيناها نستدل بها على كيفية صفات الله جَلَّ وَعَلَا.

الطريقة الثالثة: يخبرك الصادق عن كيفية الصفة.

مثال: اشتريت بيتًا، فقال أحدهم: وكيف هذا البيت؟ فقلت: هذا البيت مكون من طابقين، فجاء في ذهنك طابقين، والبيت لونه أبيض، وهكذا تبدأ الصفات تتحدد في عقلك تدريجيًّا، والبيت سعته كذا من الأمتار، فتجد الصورة تزيد أحيانًا وتنقص أحيانًا في ذهني، وأول ما تدخل البيت تجد مجلسًا على اليمين، وهكذا بالاستطراد في الوصف، وبهذه الطريقة تعرف صفة الغائب، عن طريق وصف الصادق لك.

والمراد بالصادق هنا إنما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن النبي لم يخبرنا عن كيفية شيء من صفات الله، فنبينا أخبرنا أن لربنا وجهًا، ولم يخبرنا عن كيفية هذا الوجه، وأخبرنا أن لربنا عينًا ولم يخبرنا عن كيفية العين، وأخبرنا

أن لربنا سمعًا وبصرًا وعلوًا واستواءً ولم يخبرنا عن كيفية سمعه ولا بصره ولا علوه ولا استوائه، فالواجب علينا أن نقف حيث وقف النص، وأن لا نقحم عقولنا في مثل هذه الأبواب التي لا يجني العقل بالدخول والتوغل فيها إلا كل ضلال وحيرة.

فأي نصٍ من نصوص الصفات، فإنه يجب عليك أن تقف عنده قليلًا؛ حتى تحقق فيه تلك الواجبات الثلاثة والتي هي:

أولًا: إثبات الصفة التي يدور حولها النص .

ثانيا: نفي مماثلتها بصفات الخلق.

ثالثًا: قطع الطمع بالتعرف على كيفية هذه الصفة.

مثال ذلك: قال الله جَلَّ وَعَلَا ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه:٥]؛ **الواجب علينا فيها أن نُطبق ثلاثة أمور**:

أولها: أن نؤمن بالصفة التي يدور حولها النص وهي صفة الاستواء.

ثانيها: نعتقد أنه استواء يليق بجلاله وعظمته لا يماثل استواء المخلوقين.

ثالثها: نحجم عقولنا عن الدخول في كيفية هذا الاستواء.

مثال ذلك: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾ [الأعراف:١٥٦].

هذا من نصوص الصفات، وهي صفة الرحمة، والواجب علينا فيها أن نُطبق ثلاثة أمور:

إثبات الرحمة، أعتقد أنها رحمة خاصة بالله لا تماثل رحمة المخلوقين، وأن أقطع الطمع في التعرف على كيفية هذه الرحمة.

ومثال ذلك: حديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»[١].

فهذه من نصوص الصفات، وهي صفة النزول، والواجب علينا أن نؤمن بأن الله ينزل، وأن ننفي مماثلة نزول الله لنزول خلقه، وأن نقطع التفكر والطمع في إدراك كيفية نزول الله جَلَّ وَعَلَا.

ومثال ذلك: قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يَصْرِفُهَا حَيْثُ يَشَاءُ**»[٢]

فالواجب علينا فيها: الأمر الأول: أن أؤمن بصفة الأصابع، وليست تماثل أصابع المخلوقين، وأن نقطع الطمع في التعرف على كيفية هذه الأصابع.

وهكذا في كل الصفات.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:١٥]] (٩/ ١٤٣)، برقم: [٧٤٩٤]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [التَّرْغِيبِ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، وَالْإِجَابَةِ فِيهِ] (١/ ٥٢١)، برقم: [٧٥٨]، واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [تَصْرِيفِ اللهِ تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ] (٤/ ٢٠٤٥)، برقم: [٢٦٥٤].

ولكن يجب أن ننتبه من الوقوع في أمور، فمن الناس من يُطبق الواجب الأول، ويقع في التمثيل عند تطبيق الواجب الثاني، فيكون قد ترك الواجب الثاني، ومن الناس من أثبت ونفى التمثيل، ولكن أقحم عقله في استكشاف الغيب، فلابد من الأمور الثلاثة مجتمعة.

- **القاعدة السادسة: الاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات.**

وهذه قاعدةٌ أيضًا لها شأنها العظيم عند اهل السنة والجماعة، وهي أننا إذا رأينا أسماء صفات الله جَلَّوَعَلَا، وجدناها متفقةً مع أسماء صفاتنا، فالله له وجهٌ ولنا وجه.

وبمخالفة هذه القاعدة مثَّل الممثلة، وعطل المعطلة، وحرف المحرفة، بسبب جهلهم بهذه القاعدة، فالله له يد ولنا يد، فتشابه الاسم، والله له علو ولنا علو، الله ينزل ونحن ننزل، الله ينزل من السماء الدنيا، ونحن ننزل من الطابق العلوي، فهناك تشابه في اسم النزول، ولكن شتان بين النزولين.

والله له سمع ولنا سمع، الله له عين ولنا عين، وهذا الأمر عند أهل السنة لا يُمثل مشكلة، لأن المتقرر عندهم أن: الاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات، **وكما قال الناظم:**

توافق الأسماء لا يستلزم... توافق الصفات يا من يفهم

والدليل على ذلك: العقل والنقل والحس، أما العقل فإن المتقرر عقلًا أن الصفة تختلف باختلاف موصوفها، فإذا قيل إن هذا الكأس لين، فنحن وصفناه باللين، ثم صهرنا الحديد، وقلنا الحديد لين، فهل لين الحديد كلين الكأس؟ لا، بل لكل لينه الذي يخصه ويناسبه.

فالاتفاق في الأسماء في المخلوقات فيما بينها لا يستلزم الاتفاق في الصفات، فكيف بالخالق القوي الكامل من كل وجه، والمخلوق الضعيف من كل وجه؟

بل إننا نجد أشياء في المحسوسات اتفقت في أسمائها واختلفت في صفاتها، مثاله: الشمعة المضيئة، نحن وصفنا الشمعة بأنها مضيئة، والشمس مضيئة، فاتفقت الشمس والشمعة بأن كلًا منها موصوف بالإضاءة، فهل ثمة عاقل في الدنيا يقول: أن إضاءة الشمعة مثل إضاءة الشمس للاتفاق في الأسماء؟

كذلك: فهل تقول يد الله، مثل يد المخلوق؟! سبحان الله -، فإذا كان اضاءة الشمعة لم تتفق مع الشمس وهي مخلوقة، فكيف نشبه الخالق بالمخلوق، لتشابه الأسماء، فالاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات. وكما قال الناظم:

توافق الأسماء لا يستلزم... توافق الصفات يا من يفهم

لنا يد وللبعوض مثلها... توافق الاسم فهل تشبهها؟!

فإذا قلنا البعوض له يد وابن آدم له يد، فاتفق البعوض وابن آدم أن كلًا منهما له يد، فهل يأتي من يقول: بما أن البعوض له يد وابن آدم له يد؛ فإذًا يد البعوض مثل يد الإنسان، فهل يعقل هذا؟

فالله جلا وعلا له يد، ولنا يد يدنا تناسبنا وتليق بضعفنا وعجزنا، ويد الله تناسبه وتليق بجلاله وعظمته جَلَّ وَعَلَا.

يقول العلماء إن للصقر جناحًا، وللذباب جناحًا، فاتفق الذباب والصقر أن لكل منهما جناحًا؛ فهل جناح الصقر كجناح الذباب للاتفاق في الأسماء؟! لا يُمكن أن نقول هذا القول.

لذلك غضب ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «التوحيد لابن خزيمة»، وقال: نقول لمن قال: إن الاتفاق في الأسماء يستلزم الاتفاق في الصفات، إن لكم وجوهًا، وللقرود والخنازير والحمير وجوهًا .

ولذلك نجد الله جَلَّ وَعَلَا في القرآن يسمي نفسه بأسماء يسمي بها عباده، وليس المسمى كالمسمى، فسمى نفسه بالعزيز، وسمى بعض عباده بالعزيز، مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ﴾ [يوسف:٥١]، وليس العزيز الذي هو اسمٌ لله كالعزيز الذي هو اسمٌ لبعض خلقه، وسمى نفسه بالعليم، ووصف إسحاق بالعليم، فقال: ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات:٢٨]، وسمى نفسه جَلَّ وَعَلَا بالحليم، ووصف إسماعيل بالحليم، ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات:١٠١]، وليس الحليم كالحليم ولا العزيز كالعزيز، ولا السميع كالسميع ولا غيرها، وهكذا.

- **القاعدة السابعة: قاعدة الإضافة إلى الله** جَلَّ وَعَلَا :

فإن الله جَلَّ وَعَلَا يضيف إلى نفسه الكريمة أشياء كثيرة في كتابه، فمثلًا: هذا بيتي، هذا رسولي، هذا وجهي، هذا يدي، فيضيف إلى نفسه أشياء كثيرة، فهل القول في الإضافة جميعها من أول القرآن إلى آخره قولٌ واحد أو يختلف؟ قال أهل السنة يختلف وذلك يختلف باختلاف المضاف ونوعه.

فإذا أضاف الله جَلَّ وَعَلَا شيئًا منفصلًا عن ذاته قائمًا بنفسه، منفصلًا عن

الله كل الانفصال، فهذه إضافة تشريف وتكريم.

مثاله: قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ [البقرة:١٢٥]؛ فالمسجد الحرام عين منفصلة عن ذات الله كل الانفصال، قائم بنفسه، فحينئذٍ تكون هذه إضافة تشريف وتكريم، وأمثلتها في القرآن كثيرة.

أما إذا أضاف الله شيئًا لا يتصور العقل قيامه بنفسه، فهي إضافة صفة إلى موصوف مثل: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه:٣٩]، هل رأيت يوما من الأيام عينًا قائمةً بنفسها وتسير!، فإذا أضاف الله شيئًا لا يتصور انفصاله عن موصوفه فهذه إضافة صفة إلى موصوف.

ومثاله: قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]، فهذه صفة مضافة إلى موصوف؛ لأنه لا يتصور انفصال الرحمة عن موصوفه فهذه إضافة صفة إلى موصوف.

ومثاله: قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٤٠]؛ فهذه إضافة تشريف وتكريم؛ لأن ذات الرسول منفصلة عن ذات الله جَلَّ وَعَلَا قائمًا بنفسه.

ومثاله: قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء:٩٣]؛ إضافة صفة إلى موصوف، لأن الغضب لا يتصور انفصاله عن الموصوف.

ومثاله: قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة:٤٦]؛ فهذه إضافة صفة إلى موصوف.

ومثاله: قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا﴾ [هود:٦٤]؛

فهذه إضافة تشريف وتكريم.

فإن قلت: ولماذا ميز أهل السنة بين هاتين الإضافتين، فقالوا: الإضافة إما تشريف وتكريم أو إضافة صفة إلى موصوف؟

الجواب: **لأن المعتزلي يأتيك ويقول:** إن الإضافة إلى الله جَلَّ وَعَلَا كلها من باب إضافة التشريف والتكريم، فإضافة الوجه إلى الله، كإضافة الناقة إلى الله، فلا يفرقهما عن بعضهما، فيحرفون صفات الله تعالى عن مرادها.

لكن أهل السنة والجماعة قالوا: بل نحن نفرق بين الإضافتين فإضافة الأعيان إلى الله إن كانت تقوم بذاتها فهي إضافة تشريفٍ وتكريم، وإن كانت لا تقوم بذاتها فهي إضافة صفةٍ إلى موصوف.

- **القاعدة الثامنة: يجب في أسماء الله الإيمان بها اسمًا، والإيمان بما تضمنته من الصفات، والإيمان بأثرها المتعدي.**

وهذا هو الواجب علينا تجاه أسماء الله.

فاسم الرحمن يجب علينا فيه ثلاثة أمور:

يجب علينا أن نؤمن بأنه من أسماء الله فنسمي الله تعالى به، ويجب علينا أن نؤمن بالصفة التي تضمنها ذلك الاسم وهي صفة الرحمة؛ لأن القاعدة المتقررة عند أهل السنة أن: أسماء الله كلها تتضمن صفاتٍ، فالعزيز اسمه، والعزة صفته، والرحيم اسمه والرحمة صفته، والقوي اسمه والقوة صفته، والمهيمن اسمه، والهيمنة صفته، وهكذا في سائر أسماء الله جَلَّ وَعَلَا جميعًا.

فالواجب علينا في أسماء الله:

الواجب الأول: أن نسمي الله بها ونطلقها على الله اسمًا.

الواجب الثاني: أن نؤمن بالصفة التي تضمنها ذلك الاسم.

الواجب الثالث: أن نؤمن بالأثر المتعدي، وهي أن نعبد الله بمقتضى أسمائه وصفاته.

فمثلًا: التواب اسم من أسماء الله من الكتاب والسنة والإجماع، يجب عليَّ أن أسميَّ الله به بأن أؤمن به اسمًا، ويجب عليَّ أن أؤمن بالصفة التي تضمنها وهي صفة توبته على عباده، ويجب عليَّ أن أعبد الله بهذا الاسم، بمعنى أنني إذا وقعت في الذنب والمعصية ألا أقنط من رحمته ولا آيس منه، بل أعبده بالتوبة، فتوبتي هي تعبدٌ لله بأثر هذا الاسم، فهذا من الإيمان بمقتضى هذا الاسم.

مثال: الرقيب اسم من أسماء الله من الكتاب والسنة والإجماع، فواجبٌ عليَّ في هذا الاسم ثلاثة أمور، يجب عليَّ أن أؤمن به اسمًا لله فأسمي الله بالرقيب، ويجب عليَّ أن أؤمن بالصفة التي تضمنها ذلك الاسم وهي صفة الرقابة المطلقة؛ فلا يخفى على الله شيء جَلَّ وَعَلَا، والواجب الثالث عليَّ أن أعبد الله بمقتضى هذا الاسم، أي أنني إذا خلوت بالمعصية والذنب أن أستشعر أن الذي أعبده من أسمائه الرقيب ومن صفاته الرقابة، فهو الآن يطلع عليَّ ويراني، فحينئذٍ لا تقدم نفسي على تلك المعصية خوفًا وحياءً من الله جَلَّ وَعَلَا.

فإذا انزجرت نفسك عن المعصية استشعارًا لمراقبة الله فتكون قد عبدت الله بهذا الاسم، فالتعبد لله بمقتضى أسمائه وصفاته هو موضوع حياتنا الذي

من أجله وُجدنا وخُلقنا، فنحن خُلقنا لنعبد الله بمقتضى أسمائه وصفاته.

كذلك اسم الله القوي: فهو اسم لله، وصفته القوة، والأثر: أن أعبد الله بهذا، فحينما ترى في إيمانك ضعفًا، فسل الله تعالى القوي وقل يا قوي قوي إيماني، وعند المرض وضعف جسدك قل: يا قوي قوني في بدني، والمرأة في حال ولادتها ومخاضها ضعيفة تحتاج إلى القوة، فتقول يا قوي قوني، فسبحانه هو القوي لا يُعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، فموضوع حياتنا هو التعبد لله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته.

- **القاعدة التاسعة: صفات الله** جَلَّ وَعَلَا **معلومة باعتبار معانيها مجهولة باعتبار كيفياتها**.

فالواجب علينا أن ننظر لصفات الله جَلَّ وَعَلَا باعتبارين: اعتبار معانيها واعتبار كيفياتها.

أما باعتبار معانيها: فهي معلومة لنا غير مجهولة؛ لأن الله خاطبنا بها باللسان العربي، فالواجب علينا حمل هذه الألفاظ العربية على معانيها المتقررة في اللسان العربي عندنا، ولا يمكن أبدًا أن يخاطبنا الله بلفظة عربية وهو يريد منا غير معناها المتقرر في اللسان العربي، فلما خاطبنا الله بالوجه، قال: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٢٧]؛ فهو يريد منا سبحانه أن نحمل معنى الوجه على المعنى المتقرر عندنا في اللسان العربي وهو ما تحصل به المواجهة، لكن هذا باعتبار المعاني فقط، وأما باعتبار الكيفيات فلا يعلم كيفية وجه الله إلا الله جَلَّ وَعَلَا.

ولنا في عين الله تعالى اعتباران: باعتبار المعنى فالعين في اللغة العربية هي

العين الباصرة، لكن كيفية عين الله جَلَّ وَعَلَا لا نتكلم فيها.

فأهل السنة لا يجهلون المعاني، بل يجهلون الكيفيات، ومن نسب لأهل السنة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ الجهل بالمعنى فقد كذب على أهل السنة والجماعة، فأهل السنة يعرفون معاني الصفات.

فإذا جئنا إلى معاني صفات الله فهي معلومة، وأما إذا جئنا إلى الكلام في الكيفيات فنقول الله أعلم، فلا علم لنا بكيفياتها.

ولذلك يروى أن رجلًا دخل على الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: يا إمام «الرحمن على العرش استوى» كيف استوى ؟ قال: فأطرق الإمام مالك برأسه حتى علاه العرق من شدة هول هذا السؤال، لأنه يسأل عن كيفية صفة من صفات الله جل وعلا، فقال: الاستواء معلوم، - أي أنه معلوم باعتبار المعنى اللغوي -، والكيف مجهول -أي لا أعلم كيفية هذا الاستواء المضاف إلى الله تعالى -، والإيمان به واجبٌ - لأن الله أخبر به عن نفسه وخبره صدقٌ -، والسؤال عنه بدعة- أي السؤال عن الكيفية؛ لأنه شيءٌ لم يسأله أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يجر على ألسنتهم- .

وكما قال الناظم في قاعدة لمعرفة المعنى والجهل بالكيف:

واحذر سؤال الكيف عن أوصافه... وأجب بقول العالم الرباني

ويقصد به الناظم الإمام مالك، حيث قال:

قل نعرف المعنى ونجهل كيفها... والسؤل يحرم يا أخا العرفان

وهذا البيت من منظومتي في نونية السعداني، وفيها جمعت مجمل عقائد

أهل السنة والجماعة على طريقة التأصيل، وليس التفصيل، لكن على طريقة القواعد والأصول، وتم شرحها في «الثمر الداني على نونية السعداني».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ الْقُرَانَ وَرَاءَهُ... وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الْأَخْطَلُ

والإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا البيت يتكلم عن استدلالات أهل الأهواء، فإن غالب أهل الأهواء لا يستدلون بأي شيء؛ فلا يستدلون بكتاب الله، ولا بسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإذا كانت تتعارض مع أهوائهم، وشهواتهم الدنية، وأفكارهم وآرائهم العفنة، فتجد أن أهل البدع يتركون الاستدلال بالكتاب والسنة، ويقبلون على الاستدلال بما ليس دليلًا أصلًا لا في صَدرٍ ولا وَرد، ولكن فقط لأنهُ يتفق مع شهواتهم، ويتفق مع ميولاتهم .

لذلك اعلم -رحمنا الله وإياك- أن أعظم أسباب الضلال أمران، ومَن سلِم منهُما فقد سلِمَ مِن شرٍ كثير:

الأمر الأول: اتباعُ الأهواء، فإن من أعظم أسباب الضلال اتباعُ الهوى.

يقول العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ من اتبع الهوى فقد هوىَ، فلا يمكن أن يجتمِعَ الخير والنور مع اتباع الأهواء، ولذلك ما عُبِدت الأصنام، ولا الأشجار، ولا الأحجار إلا بالأهواء، ولا عُبِدت الكهوف، والمغارات، والحيوانات، والشمس، والقمر إلا بالأهواء، ولا عُبِدت القبور، ولا طيف حول القبور، وذُبِح لها من دون الله جَلَّ وَعَلَا إلا بالأهواء.

فالأهواء في الحقيقة إلهٌ قد عبدهُ كثيرٌ من الناس، قال اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ أَرَءَيْتَ

مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الفرقان:٤٣] سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فهو لم يعبد الله، ولكن يعبد هواه، وهذا الأمر وقع فيه عامة أهل البِدَع فإنهُم لا يُقبلون على الاستدلال في عقائدهم بالكتاب، ولا بالسُنة؛ وإنما يستدلون غالبًا بالأهواء، فهم يرون الكلام أو الشيء الذي قد يتفقُ مع ميولتهم، ومذاهبهم الفاسدة فيجعلُونهُ دليلًا عظيمًا، تُحَرف من أجله أدلة الكتاب والسُنة.

قوله: (**وإذا استدل يقول: قال الأخطل**)؛ وهو شاعرٌ نصرانيٌ سِكيرٌ يشربُ الخمر، وقد خصهُ ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من بين سائر الشُعراء، وهو يقصد الرد على من قالَ بأن الاستواء يُراد بهِ الاستيلاء، ويُستدل ببيتٍ من الشِعر يُنسب للأخطل الشاعر النصراني:

قد استوى بِشرٌ على العراقِ... من غير سيفٍ أو دمٍ مِهراقِ

ويقولون: أن استوى هُنا بمعنى: استولى، فيستدلون به ويُحرف مذاهب السَلَف، ومذاهب الصحابة، وتُنسف أقوال السلف، ويُحرف بهِ كتابُ الله جَلَّ وَعَلَا ويُبطل به عقيدة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وعقيدة الصحابة، وعقيدة التابعين، من أجل بيتٍ من الشِعر، بَل إن العلماء يقولون أن هذا بيتٌ مصنوع؛ مكذوب حتى نسبته للأخطل، أو أنهُ بيتٌ لا يُعرفُ قائلُه.

نقول: سواء مصنوع، أو لا يُعرف قائلُه، أو أنهُ قالهُ الأخطل، فلا يجوزُ في الاستدلال أن تُحرَف آياتُ القُرآن، وأن تُحرف نصوص السُنن النبوية الصحيحة الصريحة، وأن تُرد مذاهب أهل السُنة، وأن يُبطل فهم أهل السُنة من أجل البيت الذي لا يُعرف قائلُه، أو قصارُه أن قالهُ نصرانيٌ سكيرٌ شِريبٌ للخمر.

وحتى قولهم بهذا الاستدلال فيه نظر ؛ لأن الاستواء في هذا البيت لا يراد به الاستيلاء، بل يراد به العلو والغلبة، أي أنهُ قد ظَهَر حُكمهُ على العِراق حتى استتب لهُ الأمر، وهؤلاء في الاستدلال تجد منهم العَجَب الكثير.

أما أهل السُنة فإن استدلالاتهم موقوفةٌ على الكتاب والسُنة بعيدة عن أهل الأهواء والبدع، فمن سَلَّمهُ الله جَلَّوَعَلَا من الهوى فقد أراد الله به خيرًا؛ فاتباع الهوى مفسدة عظيمة.

ولذلك يقولُ الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ [فاطر:٨] رآهُ بالهوى.

ويقول تبارك وتعالى: ﴿ **أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم** ﴾ [محمد:١٤] فمن عافاهُ الله من الهوى فقد أراد الله بهِ خيرًا كثيرا، ولذلك كُل من يدخل النار فهُم أهلُ الأهواء.

والمقصودُ بالهوى: الميلُ النفسي المُخالِف للكتاب والسُنة، لذلك أعطانا فيهِ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قاعدة إلى يوم القيامة يقول: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**»(١)؛ والحديث فيهِ مقال، لكن معناهُ صحيح، فمن كان هواهُ تبعًا لما جاء بهِ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقد فازَ، وأفلَح، وأنجَح، وأما مَن جعلَ ما جاء بهِ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تبعًا لهواه فهذا قد ضَل

(١) أخرجه البغوي في «شرح السنة» باب: [رَدِّ الْبِدَعِ وَالأَهْوَاءِ] (١/ ٢١٣) برقم: [١٠٤]، وضعفه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١/ ٥٩) برقم: [١٦٧]، ونقل عن النووي تصحيحه لهذا الحديث في الأربعين، وقال النووي فيه: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَيْنَاهُ فِي كتاب الْحجَّة بِإِسْنَاد صَحِيح.

وخاب وخسِر، نعوذُ باللهِ من الأهواء.

وللأسف قد ترى بعض طلبة العِلم واقعون في الأهواء؛ فأحيانًا يلوون عُنق الدليل حتى يصلح لاستدلالهم؛ فنادرًا ما يسلَم أحد من الهوى؛ فكلٌ فيه هوى، ولكن من الناس من أعانهُ الله على إحكام الهوى، وضبطِه بميزان الشَرع، ومن الناس من جعل الهوى هو الذي يقوده، مثلما يقود الشاة فهو مع هواه حيثما ذهب، ذهب، وحيثما حل، حل، وحيثما وقف، وقف .

ولو رجعت إلى كلمة «هوى» في القرآن تجد أنها كُلها مذمومة، فدائمًا يجعل اللهُ جَلَّوَعَلَا الهوى وراء كُل جريمة؛ فتجد الهوى وراء الشرك قال: ﴿ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [محمد:١٦]؛ ووراء الزنا، والفواحش قال: ﴿ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [القمر:٣]؛ ووراء اتخاذ المعبودات من دون الله قال: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾ [النجم:٢٣].

الأمر الثاني: من أبواب الضلال الكبيرة العظيمة: اتباع المُتشابهات وترك المُحكمات.

فإن الله جَلَّوَعَلَا قال في مُحكم تنزيله في أول سورة آل عِمران: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران:٧] فاتباع المُتشابهات، وترك الأدلة الصريحة المُحكمات هذا من أعظم أسباب الضلال، بل هو طريقٌ عظيمٌ قد زلت فيهِ أقدامٌ، وضلت فيهِ أفهامُ كثير من الخلق.

واتباع المُتشابهات مثل: الذين يستدلون على جواز الاستغفار عند قبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بآيةٍ مُتشابهة محتملة وهي: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ [النساء:٦٤] لكن مع أن الأدلة المُحكمات: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأحقاف:٥] فكل هذه أدلة مُحكمات يضربون بها عرض الحائط، ويأخذون بتلك الأحكام المتشابهة لأنها تخدم أهوائهُم.

فاستعيذوا بالله من هاتين البليتين: اتباع الهوى، واتباع الشبهات، ثم لنعلم أن النجاةُ من البلية الأولى: هي اعتماد ما روي عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**» وهذا تنجو به من البليةِ الأولى.

أما البلية الثانية فتنجو منها بقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧] أي أنهُم يردون المُتشابهات المُحتملات إلى الأدلة المحكمات الصريحات، وردوا المُتشابه إلى المُحكم، والمُحتمل إلى الصريح، فهذا أصلٌ أصيلٌ في مذهب أهل السُنة والجماعة، فما أشكل عليك في الأدلة فارجِع إلى الأدلة الواضحة في هذا الباب، وهي واضحة صريحة، واترك الأدلة التي فيها شيءٌ من الاحتمال، وارجع إلى الأدلة الصريحة الواضحة التي ليس فيها إشكال، وليس فيها ألغاز، أو شكوك أو أوهام.

وقد أراد ابن تيمية هنا أن يُبين أن أهل البِدع إنما خالفوا العقائد الصحيحة؛ لأنهُم في استدلالهُم اتبعوا أهواءهم، واتبعوا المتشابهات، وتركوا المحكمات فهم يتتبعون أقوال الأخطل، وأقوال فُلان، وفُلان، ويتركون

أقوال أبي بكرٍ، وعُمر، وغيرهم ممن تبعهم من السلف الصالح.

وقد ذكر ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقيدتين من عقائد أهل السُنة، والجماعة:

- **العقيدةُ الأولى: عقيدةُ أهل السُنة والجماعة في الرؤيةِ يوم القيامة.**

فأقول وبالله التوفيق: يعتقد أهل السُنة والجماعة ويؤمنون الإيمان الجازم، ويصدقون التصديق القطعي بأن الله جَلَّ وَعَلَا يُرى يوم القيامةِ في رؤيةِ عيانٍ حقيقة على الوجه الذي يليقُ بهِ جَلَّ وَعَلَا.

وقد قسم أهل السُنة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ رؤية الله يوم القيامة إلى قسمين:

رؤيته في عُرصات يوم القيامة قبل دخول الجنة، ورؤيتهِ بعد دخول الجنة.

فالرؤية بعد دخول الجنة:

أجمع أهل السُنة والجماعة على أن المؤمنين في الجنةِ يرون ربهُم على حسب منازلهم، ومراتبهم، وقربهم من الله جَلَّ وَعَلَا رؤيةُ عيان حقيقة بأبصارهم كما تُرى الشمس ليس دونها سحابٌ، وكما يُرى البدر، فليس ثمة شيءٌ يحجُب رؤيتهُ، وهذا ليس تشبيه المرئي بالمرئي، وإنما تشبيهٌ لوضوح الرؤية بوضوح الرؤية، فكما أننا نرى الشمس فوق رؤوسنا، ولا يتزاحُم أحدًا في رؤيتها، فهي رؤية واضحة، فكذلك ستكون رؤية الله تبارك وتعالى في الجنة، وهذه الرؤية أثبتها الله جَلَّ وَعَلَا بالقرآن، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صحيح سنته في أحاديث مُتواتِرة، واستقر عليها إجماع أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]،

والعربُ لا تفهم من النظر إذا أُضيف إلى الوجوه إلا الرؤية البصرية.

لذلك قال: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ فأضاف النظر إلى الوجوه فدل ذلك على أنه يريدُ بها الرؤية البصرية، ومنها قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ ﴾ [يونس:٢٦]، والمراد بالحُسنى أي: الجنة؛ أي الذين يحسنون في الدنيا لهُم ﴿ الْحُسْنَىٰ ﴾، وهي الجنة ثم قال: ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس:٢٦]، **وهذه** الزيادة ورد تفسيرِها عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيح أن هذه الزيادة هي: رؤيةُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، نسأل الله ألا يحرمني وإياكم رؤيتهُ، فإنها أعظمُ نَعيمٌ يُعطاهُ أهلُ الجنة، وأعظمُ سرورٍ يُصيبُ نفوس أهل الجنة: إنما هو برؤية الربُ جَلَّ وَعَلَا رؤيةً حقيقيةً عيانًا بالأبصار على ما يليقُ بجلال الله جَلَّ وَعَلَا .

ولا ندخلُ في هذا البابِ متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، بل نُسلِم للدليل فنقول: سمعنا وأطعنا، وعلمنا وصدقنا أنه بعد دخول الجنة، نرى ربنا تبارك وتعالى، وقد تواترتُ الأدلة من السُنة في إثباتها، فالأحاديثُ الواردة في شأن الرؤية قد أُفرِدت في مُجلدات من كثرتها، وقد بلغت السبعين أو تزيد على ذلك، وكل تلك الأحاديث تثبت أننا نرى ربنا تبارك وتعالى في الجنة.

وإن من أعظم الأسباب التي تجعلك ترى الله في الجنة المحافظة على صلاة الفجر، وصلاة العصر، وهذه الصلوات للأسف قد فرَّط فيها بعضُ المسلمين، فكم من إنسان سيُحرم من رؤية الله يوم القيامة بسبب تفريطه في هاتين الفريضتين -والعياذ بالله-.

يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَـذَا الْقَمَـرَ، لاَ تُضَـامُّونَ فِـي رُؤْيَتِـهِ**»- ثم ذكر نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السبب-فقال: «**فَـإِنِ**

اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق:٣٩]»(١)، فالله الله في هاتين الفريضتين فلهما مزيتان عظيمتان.

ففي الصحيح من حديث أبي موسى يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ**»(٢)، وفي «صحيح مسلم» عن عمارة بن صهيب يقول: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**»(٣).

فقوله «**لن يلج**»: أي لن يدخل النار أحدٌ صلى قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها، وفي «الصحيحين» من حديث أبي هُريرة قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الفجر والعصر**»(٤).

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [فَضْلِ صَلاَةِ العَصْرِ] (١/ ١١٥)، برقم: [٥٥٤]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [فَضْلِ صَلاَتَي الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا] (١/ ٤٣٩)، برقم: [٦٣٣].

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [فَضْلِ صَلاَةِ الفَجْرِ] (١/ ١١٩) برقم: [٥٧٤]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [فَضْلِ صَلاَتَي الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا] (١/ ٤٤٠) برقم: [٦٣٥].

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [فَضْلِ صَلاَتَي الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا] (١/ ٤٤٠) برقم: [٦٣٤].

(٤) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [كَلاَمِ الرَّبِّ مَعَ جِبْرِيلَ، وَنِدَاءِ اللهِ المَلاَئِكَةَ] (٩/ ١٤٢) برقم: [٧٤٨٦]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [فَضْلِ
=

فهاتان الفريضتان لهما مزيتان خاصتان، وأنا أوصي نفسي وإياكم بها، ونحن والله مقصرون في طاعة الله تعالى، ولكن علينا أن نتواصى فيما بيننا بالطاعة.

فمن حافظ على صلاة الفجر والعصر خاصة فإنهُ مؤهلٌ -إن شاء الله- أن يرى اللهَ يوم القيامة فحافظوا عليهما، وعلى باقي صلواتكم .

- **الرؤيةُ الثانية: هي رؤيةُ الله جَلَّ وَعَلَا في العرصات:**

وهذه الرؤية أجمع أهل السُنة على أن المؤمنين يرون ربهم في العرصات يوم القيامة، وهذا الإجماع وقع للمؤمنين.

لكن هل الرؤية في العُرصات ينفردُ بها أهلُ الإيمان أم أنها رؤيةٌ مُشتركة؟

الجواب: هنا اختلف أهلُ العِلم من أهل السُنة والجماعة على ثلاثةِ أقوال:

فمِن أهل السُنة من قال إن الله في العرصات يراهُ المؤمنون فقط، وهذا قول الأكثر.

ومنهم من قال إن الله يراهُ المؤمنون، والمنافقون من هذه الأُمة ثم يحتجب عن المنافقين، ويبقى يراهُ المؤمنون.

ومُنهم من قال إن الله يوم القيامةِ يراهُ المؤمنون، والمنافقون، والكافرون ثم يحتجبُ عن المنافقين، والكافرين، ويبقى يراه المؤمنون، وعلى ذلك

....

=

صَلَاتَيِ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا] (١/ ٤٣٩) برقم: [٦٣٢].

قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين:١٥] أي أنهم يُحجبون عنه، وفي الأعم الأغلب أن الحجاب لا يكونُ إلا بعد الرؤية، فيرونه ثم يحتجب عنهم، وهذا ظاهرُ ويدلُ عليه دلالة عامة، واختيار ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كأنهُ يُرجِح القول الثالث، والمسألةُ ولله الحمدُ والمنة ليست من أصول المسائل العَقَدية التي يُبدَع فيها من أخذ بواحدٍ من هذه الأقوال.

فسواء أخذت بالقول الأول، أو بالقول الثاني حسب النظر بالدليل، أو أخذت بالقول الثالث فالأمر في ذلك سهل، ولذلك ألَف ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة إلى أهل البحرين يردُ فيها على سؤالٍ وجه لهُ، ويُبين أنهم اختلفوا في مسألة رؤية الله في العُرُصات، وأنهُ حصل بينهم شيء من الشتم، والسب فيما بينهم .

فرد عليهم أبو العباس يُنكر عليهم اختلافهم هذا، إذ أن هذه مسألة ليست من أصول المسائل العَقَدية التي يُبدَع فيها المخالف، لوقوع الخلاف بين أهل السنة والجماعة أنفسهم، فمن أخذ بقول من هذه الأقوال فلا نثرب عليه، فالرؤية في العرصات الخلافُ فيها سائغ .

أما الرؤية بعد دخول الجنة فمَن خالف فيها فهو مُبتدعٌ خارج عن دائرة أهل السُنة والجماعة.

فإن أنكر أحد رؤية الله بعد دخول الجنة فقد كفرَ؛ لتواتر الأدلة من الكتاب والسُنة في إثبات رؤية الله في الجنة .

وأما رؤية الله في العُرُصات فقد أجمعوا على أنهُ يراهُ المؤمنون، لكن من العلماء مَن قال: يراهُ أيضًا المنافقون، ومن أهل العلِم من قال: يراهُ الكُفار،

وإن اخترنا أحد هذه الأقوال فلا نكون قد أخطأنا في هذا الأمر.

والجوابُ الأقرب في هذه المسألة -إن شاء الله- هو: القولُ الثاني أنهُ يراهُ المؤمنون، والمنافقون من هذه الأمة، ثم يحتجب عن المنافقين، ويبقى يراهُ المؤمنون، والدليلُ على ذلك ما في الصحيحِ من حديثِ قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وتبقى هذه الأُمةُ فيها مُنافقوها؛ فيأتيهم الله في العُرْصات في صورته التي يعرفونه فيكشفُ عن ساقِهِ فيسجُد له كل من كان يسجد له في الدُنيا، ويذهب المنافقُ كيما يسجُد فينقلبُ ظهرُهُ صفحًا حديدًا»**(١).

وكذلك قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم:٤٢]، وقوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ﴾ أي في الدنُيا ﴿إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم:٤٣].

فعقوبةٌ لهُم على عدم سجود قلوبِهِم لله في الدُنيا، وعلى نفاقِهِم، وعلى كُفرِهِم الباطن لا يُمكنون من السجودِ إذا رأوا الله في صورتِهِ التي يعرفونها، وهذا دليلٌ على أن هذه الأُمة تبقى، وفيها مُنافقوها بعد ذهاب الكُفار عنها، ثُم يأتيهم الله فيرونه؛ يراهُ المؤمنون، ويراه المنافقون، فيسجد المؤمنون، وأما المنافقون فلا يستطيعون السجود، وهذا دليل على أن القول الصحيح أنهُ يراهُ المؤمنون والمنافقون ثم يحتجُب عن المُنافقين، ويبقى يراهُ المؤمنون، وهذا القول هو القول الوسط بين الأقوال كُلِها -والله أعلم-.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢، ٢٣]] (٩/ ١٢٨)، برقم: [٧٤٣٧]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ] (١/ ١٦٣)، برقم: [١٨٢].

وأحاديث الرؤية من الأحاديث التي تواترت كما قال الناظم فيها:

مما تـواتر في حـديث مَـن كَـذَب... ومـن بنـى للهِ بيتًـا واحتسـب
ورؤيـةٌ شـفاعةٌ، والحـوضُ... ومسـحُ الخُفيـنِ، وهـذه بعـضُ

فأحاديث الرؤية يقررها أهل العِلم بأنها من جُملة المتواترات، فمن أهل العِلم من جمع الأحاديث المتواترة نظمًا، ومنهُم من جمعها نثرًا.

وقد جرت عادةُ أهل البِدع أنهُم لا يستسلمون للأدلةِ في أول الأمر لكنهم يعارضونها، ويحرفونها فحينئذٍ نقول: أهلُ البِدعِ كلُهُم لا يؤمنون برؤية الله جَلَّ وَعَلَا يوم القيامة، ولقد تولى كِبر ذلك المعتزلة من الجهمية، وغيرهم فهم يقولون: أن الله لا يُرى لا في العُرُصات، ولا بعد دخول الجنة، ويستدلون بأدلةٍ عجيبة منها قولُ الله عن موسى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣]، وقد بيّنا أنهُ لا يجوز فهم الأدلة من الكتاب والسُنة إلا على فهم سلف الأُمة، وقد أجمع السلف على أن نفي الرؤية هُنا إنما يراد به نفيٌ للرؤية في الدنيا فقط، ولا يتعدى نفي الرؤيةِ في هذه الآية إلى نفيها في الآخرة، وذلك لثبوت الأدلة المتواترة الكثيرة من الكتاب والسُنة، وإجماع أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ على إثبات الرؤية في العُرُصات.

ومما استدلوا به أيضًا في نفيهم الرؤية قول الله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، ويُفسرون الإدراك هنا بالرؤية فيقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ بمعنى: لا تراهُ الأبصار.

وبتطبيق قاعدة: أن كل فهم يُخالف فهم سلف الأمة في العقيدة، والعمل

فهو فهم باطل، فنرجع إلى قول سلف الأمة في هذا الأمر، فالسلف فهموا الإدراك هُنا بمعنى: الإحاطة، فقوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ بمعنى: لا تُحيطُ بهِ، فالله جَلَّ وَعَلَا لا تحيطُ بهِ قلوبنا عِلمًا، ولا تحيطُ بهِ أبصارنا رؤية.

فأنت مثلًا إذا وقفت على جبلٍ كبير، فهل تحيطُ بكل أجزاء الجبل؛ إنما ترى جزءًا من أجزاء الجبل، فإنما ترى فقط جانبًا من جوانب الجبل الذي رأيته، ولكن لم تُحط بهِ، فنفيُ الإدراك لا يستلزم نفي الرؤية بل يستلزم إثبات الرؤية فأنت ترى هذا المسجد، ولكنك لا ترى إلا سقفه، وجدرانه، ولكنك لا ترى مرافقهُ الخارجية؛ ودورات مياهه؛ والأراضي المحيطة به.

فاللهُ أعظم من ذلك وأكبر، فالعين وإن رأتهُ، ولكنها لا تحيطُ بالله رؤية جَلَّ وَعَلَا .

وأضرب لكم مثالًا من القُرآن: لما خرج موسى وقومه، ووصلوا إلى شاطئ البحر، وخرج وراءهم فرعون وقومهُ، ولما اقتربوا ماذا قال أصحاب موسى؟ ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ ﴾ [الشعراء:٦١] أي: رأى وأبصر بعضُهم بعضًا؛ قال أصحاب موسى:﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [الشعراء:٦١]؛ ﴿ قَالَ كَلَّآ ﴾ [الشعراء:٦٢] فهنا إثبات الرؤية، ونفي للإدراك، وهي الإحاطة، فقولهُ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣] أهل السُنة مُجمعون على أن المراد به: لا تحيط به، وأهلُ البِدع يقولون: لا تراه، فنقدم فهم السلف لأن كل فهمٍ يخالف فهم سلف الأُمة فإنهُ باطل.

• **العقيدةُ الثانية: عقيدة النزول، والكلامُ عليها في مسائل:**

المسألةُ الأولى: يعتقد أهل السُنة والجماعة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ أن الله ينزل إلى السماء الدُنيا في ثُلث الليل الآخر نزولًا يليقُ بجلالهِ، وعظمتهِ لا يُماثل نزول المخلوقين في صدرٍ، ولا وَرد؛ **وذلك لأن الواجب علينا في نصوص الصفات ثلاثةُ أشياء:**

- أن نُثبت الصفة التي يدور حولها النص.

- وأن نقطع عنها دابر المماثلة.

- وأن نقطع الطمع في التعرُف على كيفية هذه الصفات.

المسألةُ الثانية: إن نزول الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، هذه المسألة ليس لها دليلٌ بعينها من القرآن، ولكن أدلتها تواترت في السُنة فقد رواها أكثر من سبعة وعشرين صحابيًا، فالله جَلَّ وَعَلَا ينزل إلى السماء الدُنيا نزولًا يليق بجلاله وعظمته سبحانه، ومن هذه الأحاديثُ حديث أبي هُريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كما في «الصحيحين» كما قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ**»(١) فهذه من الأحاديث المتواترة.

---

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:١٥]] (٩/ ١٤٣٩) برقم: [٧٤٩٤]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [التَّرْغِيبِ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، وَالْإِجَابَةِ فِيهِ] (١/ ٥٢١) برقم: [٧٥٨].

يقول الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد روى الثقات عن خير الملا... بأنه عز وجلَّ وعلا

في ثلث الليل الأخير ينزل... يقول هل من تائب فيقبل؟

هل من مسيء طالب للمغفرة... يجد كريمًا قابلًا للمعذرة

فسبحانه جَلَّ وَعَلَا ينزل إلى السماء الدنيا نزولًا يليق بجلاله وعظمته سبحانه، وهذا بإجماع أهل السُنة والجماعة .

المسألة الثالثة: هل نزول الله من صفات الذات، أم من صفات الفعل؟

الجواب: بداية هذا ينبني على التفريق بين الصفات الذاتية، والصفات الفعلية، فيقولون: كل صفةٍ مُلازمةٍ لذات الله لا تنفك عنه أصلًا ولا أبدًا؛ فهي صفة ذات، وكلُ صفةٍ خاضعة لمشيئته، وفعلِهِ فيفعلها متى شاء، ويتركها متى شاء فهي صفة فعلية؛ فمثلًا الإنسان عينه لا تنفك عنه أبدًا؛ لأن عينك صفة ذات فيك؛ ويدُك صفة ذات فيك، فللمخلوق صفات ذاتية، وصفات فعلية، وكذلك لله تعالى صفات ذاتية، وصفات فعلية، واللهُ جَلَّ وَعَلَا لهُ المثلُ الأعلى في السماوات والأرض .

ولذلك: فعلم الله ذاتي ؛ وحياةُ الله ذاتية؛ وسمعُ الله ذاتي، وأصابعُ الله ذاتية.

أما ضحك الله فهو فعلي؛ فسبحانه يضحك متى شاء، ومتى شاء لا يضحك؛ وغضبُ الله فعلي، ورضا الله فعلي، فأي صفة ملازمة للذات فهي ذاتية، وأي صفةٌ يفعلها أحيانًا، ويتركها أحيانًا سبحانه فهي صفة فعلية؛ فنزول الله صفة فعلية لأنها مُتعلقةٌ بفعل الله، فينزل سبحانه في ثُلث الليل

الآخر.

وهُناك من الصفات ما يكون ذاتيًا باعتبار، وفعليًا باعتبار، مثل صفة الكلام، فكلامُ الله باعتباره صفةٌ ذاتية، وباعتبار آحاده وأفراده صفةٌ فعلية.

المسألة الرابعة: إذا نزل الله في ثُلث الليل الآخر فهل يخلو العرش منه سبحانه؟

الجواب: لا شأن لنا بهذه المسألة؛ يخلو العرش منه أو لا يخلو، فلا شأن لنا بذلك؛ لأن المسألة في الغيب، والغيب لا تُقحم عقلك فيه، مع أن الذي نجزم بِهِ هو ما التزم بِهِ أكثرُ أهل السُنة والجماعة من أن العرش لا يخلو من الله؛ لأن النزولَ أثبتته الأدلة، والاستواء على العرش أثبتتهُ الأدلة، والأدلة لا تجمع بين مُحالين فالأدلة تثبتُ نزول الله، وتثبتُ استواءه على عرشه، واللهُ أعلى وأجلّ من أن تقاس صفاته بصفات خلقه.

فالأسلم هو السكوت عن هذه المسألة، وقد ألف ابن تيمية في هذه الصفة كتابًا حافلًا في أربعمائة صفحة في مسألة النزول؛ شرح حديث النزول.

وأُقِرُ بالْمِيزَانِ وَالْحَوضِ الَّذِي... أَرجُو بأَنِّي مِنْهُ رَيًّا أَنْهَلُ

وهنا عقيدتان لأهل السُنة والجماعة:

- **العقيدةُ الأولى: عقيدتنا في الميزان، والكلامُ عليهِ في مسائل:**

المسألة الأولى: يعتقد أهل السُنة والجماعة أنهُ سيكون يوم القيامة ميزانٌ عظيم يظهرهُ الله، توزن فيه أعمال العباد له كِفتان ولسان، وأنهُ لا ينبو عنه مثاقيل الذَّر حتى الذرة يزنُها كما في قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧، ٨]، فمع كِبره وعظمته إلا أنهُ يوزن فيه مثاقيل الذّر ولا تفوته شيء من مثاقيل الذَّر، فنحنُ نؤمنُ بهذا الميزان إيمانًا حقيقيًا قطعيًا، نعلم معناه، لكن نجهل كيفية حقيقتهِ وتأويله ووقوعه إلى الله جَلَّوَعَلَا، فلا ندخل في هذا الباب متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا.

المسألة الثانية: ما الدليل على وجود الميزان يوم القيامة؟

الجواب: الميزان يوم القيامة قد دلت عليه الأدلة الكثيرة من الكتاب والسُنة قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء:٤٧]، ويقولُ الله جَلَّوَعَلَا ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الأعراف:٨]، وقول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة:٦-١١].

ويقول النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**»(١).

المسألة الثالثة: ما الذي سيوضع في هذا الميزانِ يوم القيامة؟

الجواب: اختلفت كلمة أهل العلم رَحِمَهُمُاللَّهُ على حسب اختلاف الأدلة،

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [فَضْلِ التَّسْبِيحِ] (٨/ ٨٦)، برقم: [٦٤٠٦]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [فَضْلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ] (٤/ ٢٠٧٢)، برقم: [٢٦٩٤].

والقول الصحيح في هذه المسألة عندي -إن شاء الله- أن الذي يوضع في الميزان هو العمل، والعامل، وصحيفة العمل .

فالذي سيوزن يوم القيامة هو العملُ نفسه ودليله قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ**».

والعامل أيضًا سيوزن ودليله: قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبد الله بن مسعود: «**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟**» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**»(١)، ويقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»(٢).

وصحيفة العملُ أيضًا ستوزن ودليلها: ما رواهُ أبو داود، والإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟**

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٧/ ٩٨)، برقم: [٣٩٩١]، وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» باب: [ذِكْرُ تَمْثِيلِ الْمُصْطَفَى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَاعَاتِ ابْنِ مَسْعُودٍ الَّتِي كَانَ بِسَبِيلِهَا مِنْ قَدَمَيْهِ بِأُحُدٍ فِي ثِقَلِ الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] (١٥/ ٥٤٦)، برقم: [٧٠٦٩]، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٧٨)، برقم: [٨٤٥٢]، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٧/ ٥٨٢)، برقم: [٣١٩٢].

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ [الكهف: ١٠٥] الآيَةَ] (٦/ ٩٣)، برقم: [٤٧٢٩].

أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ «، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ»، قَالَ: «فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»(١).

فإن قلت: وكيف يوزنُ العمل وهو عَرَضٌ، فمثلًا كيف توزن صلاة العصر وغيرها من العبادات ؟

فنقول: إن الله جَلَّ وَعَلَا أقدر أن يقلب ذلك العرض؛ فيقلب ذلك الشيء الذي لا جسم له؛ كما سيقلب الموت كبشًا أقرن، كما جاء في الحديث:

«يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١١/ ٥٧٠)، برقم: [٦٩٩٤]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِيمَنْ يَمُوتُ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ] (٥/ ٢٤)، برقم: [٢٦٣٩]، وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» باب: [ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا بِتَفَضُّلِهِ قَدْ يَغْفِرُ لِمَنْ أَحَبَّ مِنْ عِبَادِهِ ذُنُوبَهُ بِشَهَادَتِهِ لَهُ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فَضْلُ حَسَنَاتٍ يَرْجُو بِهَا تَكْفِيرَ خَطَايَاهُ] (١/ ٤٦١)، برقم: [٢٢٥]، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣/ ٢٩)، برقم: [٦١]، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٣/ ١٥٤٢)، برقم: [٥٥٥٩].

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ»[1].

فالذي يُذبح يوم القيامة ليس ملك الموت الذي يسمى في الإسرائيليات - بعزرائيل- وهي تسميةٌ لا تصح-، فالذي سيُذبح هو الموت نفسه، فالدليل لم يقل: يؤتى بمَلَك الموت، بل قال: يؤتى بالموت في صورة كبشٍ فيُذبح، فالذي قلب الموت وهو عرض إلى جسمٍ على هيئة كبش قادرٌ على أن يقلب الأعمال وهي أعراض، وقدرة الله أعظم وأكبر من ذلك.

فإن قلت: وهل هو ميزانٌ واحد، أما أنها موازين متعددة؟

الجواب: فيه خلاف بين العُلماء، والقول الصحيح -إن شاء الله- أنهُ ميزانٌ واحد.

وأما قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧]، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة:٦] فهذا باعتبار ما يُوزن فيها، لا باعتبار ذواتها.

وأضرب مثالًا للتوضيح: لو دخلت بَقالة؛ وهذه البَقالة يباع فيها تفاح، وفيها موز، وفيها بُرتقال، وفيها عنب، وفيها أشياء كثيرة، ويوجد ميزان واحد عند باب البَقالة، فوقفت عند هذا الميزان فجاء رجلٌ اشترى كيلو عنب، فغشه صاحبُ البقالة في الميزان، وذهب وجاء آخر واشترى كيلو من

---

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [قَوْلِهِ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ [مريم:٣٩]] (٦/ ٩٣) برقم: [٤٧٣٠]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ] (٤/ ٢١٨٨) برقم: [٢٨٤٩].

البُرتقال، فغشه صاحبُ البقالة في الميزان؛ وجاء آخر واشترى كيلو تفاح، فغشه صاحبُ البقالة في الميزان، فإذا أمسكته وقلت له: اتق الله أنت موازينك مختلة؛ أنت تغش في الموازين، فأكون مصيبًا، فتعددت الموزونات في ميزان واحد فقلت: موازينك .

فلما جمع اللهُ الميزان لا يريدُ بالجمع تعدد ذات الميزان، وإنما يريدُ بهِ تعدد الموزونات فيه؛ فلأن الله سوف يزن فيه الصلاة، وسوف يزن فيه الزكاة، وبرُ الوالدين، وتقصير الثياب للرجال، وتربية اللحى، والحَج، والعمرة؛ وغيرها، فالأشياء الموزونة فيه كثيرة فقال الله: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ [القارعة:٦]، فجمعهُ ليس على اعتبار أن الموازين مُتعددة باعتبار ذاتها، وجنسها، لا، وإنما باعتبار الأشياء الموزونة فيها.

- **العقيدةُ الثانية: الحوض.**

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

وأُقِرُ بالْمِيزَانِ وَالْحَوضِ الَّذِي... أَرجُو بأَنِّي مِنْهُ رَيًّا أَنْهَلُ

والكلام على الحوض فيه مسائل:

المسألةُ الأولى: يعتقد أهل السُنة أن ثمة حوض للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيكون لهُ يوم القيامة يُسمى حوض مُحمد؛ وحَوض رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحوض أهل الاتباع لا الابتداع، وهذا حوضٌ كبيرٌ سيوضع في العُرُصات يوم القيامة، وهذا في الحقيقة لا نجد لهُ دليلًا من القرآن، وإنما أدلته متواترة من السُنة، ولذلك يقولُ الناظم:

مما تواتر في حديث مَن كَذَب... ومن بنى لله بيتًا واحتسب
ورؤيةٌ شفاعةٌ، والحوضُ... ومسحُ الخُفينِ، وهذه بعضُ

فأحاديثُه متواترة مِنها: قولُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحَبَنِي، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُهُمْ وَرُفِعُوا إِلَيَّ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَلَأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ أُصَيْحَابِي، أُصَيْحَابِي، فَلَيُقَالَنَّ لِي: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»(١).

فهذا دليلٌ على أن الحوض موجود، وكذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجيب بعدة أجوبة قال: «**إن حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيهِ من الأباريق بعدد نجوم السماء**»، وأحيانًا يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أمامكُم حوض كما بين الجرباء وأبرح من الشام**» فأحاديث الحوض كثيرة جدًا.

واختلاف تقدير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للحوض بالتحديد بين البلاد إنما هو لاختلاف السائلين؛ لأن الناس يسألونه عن الحوض، فإذا كان هذا السائل من الشام فيختلف جوابه، عمن جاء وسأل وكان من اليمن، فيخبرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأماكن التي يعرفها هو، فاختلاف أسماء البلاد المذكورة في تحديد الحوض طولًا وعرضًا هو من خلاف التنوع لا من خلاف التضاد.

فجواب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختلف باعتبار السائلين أي مثلًا أنا في أُملج

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِفَاتِهِ] (٤/ ١٨٠٠) برقم: [٢٣٠٤].

الآن يأتيني رجل يقول: كم بين بيتكم وبين الرياض؟ فأقول: كما بين أُملج، وينبُع مثلًا؛ فإن أتاني رجل من الشرقية مثلًا يقول: كم بين بيتكم وبين الرياض؟ فأقول: كما بين الخُبر والهَفوف مثلًا، وهكذا، وهذا من اختلاف التنوع لا التضاد .

المسألةُ الثانية : ذكر صفات الحوض.

فمن صفاتِهِ أنهُ طويلٌ، وعريض، وأن طوله كعرضه لا يختلفان فطوله شهرٌ، وعرضهُ شهر أي ليس مُثلثًا، ولا مُستطيلًا، وإنما هو مُربع فطولهُ شهر، وعرضهُ شهر، ومن صفاتِهِ أيضًا أن من شَرب منه شربةً لا يظمأ بعدها أبدًا.

وأهل الجنة لا يشربون شرب من يخشى الظمأ، ولكن هو شرب للتلذذ؛ فالجنة ليس فيها ظمأٌ ولا جوع؛ لأن الجوع والظمأ من النصب، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾ [الحجر:٤٨].

ومن صفاتِهِ أيضًا: أن ماءه أشد بياضًا من الثلج ومن اللبن، وأحلى من العسل كما أثبتتهُ الأدلة(١)، ومن صفاتِهِ أيضًا أن عليه آنيةً، وأباريق كثيرة بعدد نجوم السماء، تشرب متى ما شئت-اللهم لا تحرمنا يا رب العالمين -.

ومن صفاتِهِ أيضًا: أن الشرب منهُ وقفٌ على أهل السُنة والاتباع؛ أما أهل البدع فإنهم يذادون كما يُذاد البعير الضال، كما في حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ**

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِفَاتِهِ] (٤١٧٩٨ برقم: [٢٣٠٠].

بَعْدِي»(١)، فالمُحدِثون في الدين ما ليس منهُ من أهل البِدع، والمُنكرات، والشرك، والوثنية، وغيرها من أمور الإحداث في الأُمة هؤلاء يُحرمون، ويُمنعون، ويُذادون من الشرب من حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن صفاتِهِ أيضًا: أن رائحتهُ أطيب من المسك، كما في ورد في صحيح البخاري (٢).

ومن صفاتِهِ أيضًا: أنه يصُب فيه ميزابانِ من الكوثر أحدهُما من ذهبٍ، والآخر من فضة كما في صحيح مُسلم(٣).

فإن قلت: هل هو حوضٌ واحد أم أن لكل نبيٍ حوضًا ؟

الجواب: المسألة غيبية، ومبناها على التوقيف، وبعد النظر في الأدلة الواردة في هذه المسألة وجدنا أن القول الصحيح هو أن لكل نبيٍ حوضًا، ولكن حوض نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أعظمهُا، وأكبرُها، وأكثرُها واردًا يوم القيامة، والدليلُ على ذلك قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الذي أخرجهُ

---

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾ [الأنفال:٢٥] وَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَذِّرُ مِنَ الفِتَنِ] (٩/ ٤٦)، برقم: [٧٠٥٠]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِفَاتِهِ] (٤/ ١٧٩٣)، برقم: [٢٢٩١]، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [في الحوض] (٨/ ١٢٠)، برقم: [٦٥٨٣].

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [حوض نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] (٤/ ١٧٩٨)، برقم: [٢٣٠٠].

الترمذي في جامعهِ، والطبراني في الكبير، ورمز له الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالصحة في صحيح الجامع قال: قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن لكل نبيٍ حوضًا وإنهم يتباهون أيهم أكثره واردًا، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردًا يوم القيامة**»[١] وهو كذلك صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والخلاف في هذه المسألة لا يوجب بدعة، لأنه خلاف ورد في دائرة أهل السنة والجماعة، وكل خلاف ورد بين أهل السنة والجماعة أنفسهم فلا يبدع فيه المخالف، ولا يعادى عليه، فمن أهل السنة والجماعة من قال أنه حوض واحد، ومنهم من قال أن لكل نبي حوضًا، والخلاف في دائرة أهل السُنة والجماعة.

فإن قلت: وهل الحوضُ هو الكوثر أم غيرهُ؟

الجواب: فيه خلاف بين أهل العِلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ والقولُ الصحيح في هذه المسألة أن الحوض ليس هو الكوثر أثرًا ونظرًا.

أما في الأثر: ففي صحيح البُخاري أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ، الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ - أَوْ طِيبُهُ - مِسْكٌ أَذْفَرُ**»[٢] فهذا دليل على أن الكوثر في الجنة، وليس في العرصات، وفي الجنة

---

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ» (١/ ١/ ٤٤) والترمذي (٣/ ٢٩٩-٣٠٠)، وابن أبي عاصم كما في «نهاية ابن كثير» (١/ ٣٥١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٤٣١)، برقم: [٢١٥٢].

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [في الحوض] (٨/ ١٢٠)، برقم: [٦٥٨١].

ليس ثمة نعيم من نعيم الجنة يُمنع عنهُ أحد، وقد أثبت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ثمة رجالًا من أُمتهِ يُذادون عن الحوض كما يُذاد البعير الضال، فدل ذلك على أن الحوض في العَرَصات، وأما لو كان في الجنة لشرب منهُ الجميع.

وأما من جهة النظر - أي في اللُغة -: فالحوض في اللغة العربية هو مُجتمع الماء الذي ليس من طبيعتهِ الجريان، وأما النهر فهو مُجتمع الماء الذي من طبيعتهِ الجريان، ففرق بين الحوض، والنهر، فالنهر من طبيعته أنه يجري، وأما الحوض فهو مُجتمع الماء الذي من طبيعتهِ السكون، والركود، فليس الحوضُ هو الميزانُ أثرًا، ولا نظرًا.

ثم قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى:

وَكَذَا الصِّراطُ يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمٍ... فَمُسَلَّمٌ نَاجٍ وَآخَرَ مُهْمَلُ

وهذه قضيةٌ أخرى من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر، **فإن الإيمان باليوم الآخر ينقسم إلى قسمين:**

إيمان مُجمل.

وإيمان مُفصل.

فأما الإيمان المُجمل: فأن تؤمن بكل قضيةٍ ستكون بعد الموت على وجه الإجمال من غير تفصيل، فكُل ما سيكون بعد الموت فهو من الإيمان باليوم الآخر.

أما الإيمان المُفصل: هو أن ينصب الإيمان على كل قضيةٍ بخصوصها.

ومن قضايا اليوم الآخر الإيمان بالصراط، وعرفهُ العلماء بأنهُ جسرٌ

يُنصب على متن جهنم -الله المستعان-، وعلى ذلك قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم:٧١] وقد فسرهُ طائفةٌ كبيرة من السَلف بأنهُ الورود على الصراط.

وفي «الصحيحين» أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلاَمُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**»(١) والأحاديثُ في هذا المعنى كثيرة.

فإن قلت: ما هو ترتيب الصراط والميزان والحوض في عُرُصات يوم القيامة فأيُها يكون قبل الآخر؟

الجواب: سمعتُ في ذلك كلمة للشيخ عبد العزيز السدحان وهي كلمةً جميلة **قال**: الترتيبُ يأتي على مُقتضى كلمة (حِمص) ؛ فالحوضُ المعبر عنه بالحاء، والميزان المُعبر عنهُ بالميم، والصراط المعبر عنه بالصاد، فاحفظ كلمة حمص حتى تحفظ الترتيب بين هذه الثلاث في العُرُصات -نسأل الله فيها السلامة والعافية -.

فالأحاديثُ الكثيرة أثبتت أن الصراط سينصب على متن جهنم، وأن الناس سيجوزون على هذا الصراط.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [فَضْلِ السُّجُودِ] (١/ ١٦٠)، برقم: [٨٠٦]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ] (١/ ١٦٣)، برقم: [١٨٢].

فإن قلت: وهل يتفقُ سير الناس على هذا الصراط أم يختلف؟ وما سببُ اختلاف سيرِهم؟

الجواب: سير الناس على هذا الصراط سيكون مختلفًا، فمنهم من يسيرُ عليهِ كالبرق، ومنهم من يسيرُ عليه كأجاويد الخيل، ومنهم من يسير عليه كأسرع الناس، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يحبو حبوًا، ومنهم من تخطفه الكلاليب، ومنهم من يسقُط في جهنم -والعياذُ بالله-.

وكما قال الناظم:

البعثُ والميزانُ حقٌ يا فتى...وكذا الصراطُ يجوزه الثقلان

فمُوفَّقٌ ناجٍ ومخدوشٌ كذا...ك مُكَردسٌ في هوة النيران

وأما سببُ تفاوت الناس على الصراط الحقيقي في الآخرة: فإنما هو بسبب تفاوت سيرهم على الصراط المعنوي في الدُنيا؛ فإن الله قد ضرب صراطًا معنويًا في هذه الدنيا فعلى قدر سيرك على هذا الصراط، على قدر سيرك على الصراط يوم القيامة؛ ولذلك نحنُ في كل صلاةٍ نقول: اهدنا الصراط المستقيم أي الصراط المعنوي، وهو مُتابعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن من أسرع في متابعة رسول الله سيُسرع هُناك، ومن أبطأ في متابعة رسول الله فسيبطئ هُناك، ومن كان يمشي في هذا الصراط تارة، وينقطع تارة ويُتابع تارة، فإن هذا سيكون هو حاله هناك أيضًا، فسيقف تارة، ويُخدش تارة.

فسيرُنا على الصراط الحسي يوم القيامة إنما هو عبارة عن نتيجة لسيرنا على الصراط المعنوي في الدُنيا، والصراط المعنوي المراد به قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن

سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام:١٥٣] فالمقصود به متابعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المسألة الثالثة: لقد ذكرت الأدلة شيئًا من صفات هذا الصراط، وهي صفات تقشعرُ منها الأبدان، وتخاف منها القلوب، فهو طريقٌ مظلِم هذا أخطرُ ما يكونُ فيهِ؛ لأن الطريق المُظلِم تزلُ فيه الأقدم، والمارُ عليهِ يحتاجُ إلى نورٍ ليرى طريقهُ، والنور لا يُعطاهُ إلا أهلُ الإيمان، ولذلك يقولُ الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الحديد:١٢]،

فإن أول صفة من صفات الصراط أنهُ مُظلِم، ولذلك يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ، بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١)، وهذه بشارة لهم بالخير كمن يكثر من المشي إلى المساجد في الظُلم صلاة المغرب، وصلاة العشاء، وصلاة الفجر.

فقوله «**بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ، بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» أي: في الظُلم؛ لأن الإنسان إذا خرج في الظُلم ربما تعترضه أشياء من الآفات، وأشياء من الدواب، وأشياء من هوام الأرض، فكونهُ يتجاوز ذلك كلهُ حتى يصل إلى المسجد لإقامة فريضةٍ من فرائض الله، فهذا يدل على إيمانِه، فليبشر بالنور التام، وهذه الظلمة هي ظلمة الدنيا سيقلبها الله نورًا تامًا يوم

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» باب: [الْمَشْيِ إِلَى الصَّلَاةِ] (١/ ٢٥٧) برقم: [٧٨١]، وأخرجه أبو داود في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِي الْمَشْيِ إِلَى الصَّلَاةِ فِي الظَّلَامِ] (١/ ١٥٤) برقم: [٥٦١]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِي فَضْلِ العِشَاءِ وَالفَجْرِ فِي الجَمَاعَةِ] (١/ ٤٣٥) برقم: [٢٢٣].

القيامة.

وكذلك: يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالصَّلَاةُ نُورٌ**»[(١)] -فسبحان الله- كل ما يتعلق بالصلاة نور، فلتكثر من الصلاة حتى يعظم نورك على الصراطِ يوم القيامة.

وأما المنافقون -والعياذ بالله تعالى- فيُعطون نورًا من باب المخادعة، ولذلك يقول الله جَلَّ وَعَلَا عنهم: ﴿**يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ**﴾ [الحديد:١٣] فإن الله جَلَّ وَعَلَا يُعطي المُنافِق شيئًا من النور، فإذا توسط بهِ على الصراط انطفأ؛ لأنهُ نور كذِب لأن النور الذي كان في قلبه نور نِفاق ومخادعة، والله جَلَّ وَعَلَا يخادعهُ يوم القيامة فينطفئُ النور فيُنادى هذا المُنافِق: يا أهل الإيمان انتظروا فقد انطفأ النور الذي في يدي؛ انتظروا قليلًا حتى اقتبس من نوركم فتقول لهُ الملائكة: ﴿**قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ**﴾ [الحديد:١٣].

ومِن صفاتهِ أيضًا: أنه مزلة، فلا تثبُت عليه قدمٌ، إلا من ثَبتَهُ الله جَلَّ وَعَلَا، فمع أنه مع أنهُ مُظلِم، فهو مزلة- نسأل الله الثبات في الدنيا والآخرة -.

ومِن صفاتهِ أيضًا: ما ورد في حديث أبي سعيدٍ عِند الإمام مُسلِم: «**بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ**»[(٢)]، أي أنهُ أحد من السيف،

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [فَضْلِ الْوُضُوءِ] (١/ ٢٠٣) برقم: [٢٢٣].

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ] (١/ ١٦٧)، برقم: [١٨٣].

وأدقُ من الشعرِ .

ومِن صفاتهِ أيضًا: أن عليه كلاليب، وخطاطيف مثل شوك السعدان، وهو شوكٌ يخرج قِبل نجد كما قالهُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه الخطاطيف قد أُعطيت أسماء أقوام فإذا مرت عليها القدم التي أُمِرت بأن تخطِفها أو تخدشها أخذتها، وألقتها في جَهَنم ـ عياذًا بالله تعالى -.

ومِن صفاتهِ أيضًا: **أن الأنبياء قائمون على حافتيهِ يقولون:** اللهم سَلِّم سَلِّم.

وقد أجمع العلماء على أن المؤمنين سيجوزونهُ، وكذلك المنافقين سيجوزونهُ.

ولكن اختلفوا في الكفار فمن العلماء من قال: أن الكفار لا يتجاوزون إلى الصراط ولا يجوزونه، ولا يدخلون جهنم سقوطًا، وإنما يدخلون جهنم من أبوابها لقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ [النحل:٢٩]، ومن أهل العِلم من قال بل إنهم يجوزون على الصراط لعموم قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم:٧١] فهذا عموم، والأصل بقاء العموم على عمومه إلا بدليل -والله أعلم-.

ثم قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى:

والنَّارُ يَصْلاَهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ... وَكَذَا التَّقِيُّ إِلى الجِنَانِ سَيَدْخُلُ

وهذا البيت يتحدث فيه عن مُقتضيات الإيمان باليوم الآخر، وهو الإيمان بالجنةِ والنار، وقد قرر العُلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ أن الإيمان بالجنة والنار لا

يتم إلا إذا آمنت بعدة أمور:

الأمر الأول: أن تؤمن الإيمان الجازم بأن الجنةِ والنار موجودتان الآن، وأن الله جَلَّ وَعَلَا قد خلقهما، وفرغ من خلقهما، وبذلك وردت الأدلة:

كما في قوله: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]؛ ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤] وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**»(١)، وقد خالف في ذلك المُعتزلة بناء على قاعدة التحسين والتقبيح العقليين.

فقال المعتزلة: إن خلقهما وتأخير دخول أهلِهما لا فائدة فيه، وهو عبث، واللهُ مُنزه عن العبث، فماذا بعد أن خلقها الله؟، - وهذا منهم خطأ وضلال-.

العقيدة الثانية: أن نؤمن الإيمان الجازم بأنهما باقيتان أبد الآباد، لا تفنيان أبدًا خلافًا للمُعتزلة.

وقد ضل من قالوا بفناء النار، أو بفناء حركات أهل النار، أو بفناء عذاب أهل النار إلى آخر خرافتهم التي يتفوهون بها.

العقيدةُ الثالثة: أن نؤمن بما ورد عن نعيم الجنة؛ وبما أثبتتهُ الأدلةُ من نعيم الجنة، وما أثبتتهُ الأدلة من عذاب النار، إيمانًا جازمًا خاليًا من الزلل، مع الاعتقاد الجازم بأنهُ وإن اتفق مع أسماء نعيم أو عذاب الدنيا ؛ إلا أن الاتفاق

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [صِفَةِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ] (٨/ ١١٣) برقم: [٦٥٤٦]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْفُقَرَاءُ وَأَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ النِّسَاءُ وَبَيَانِ الْفِتْنَةِ بِالنِّسَاءِ] (٤/ ٢٠٩٦) برقم: [٢٧٣٧].

في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات.

فاللهُ تعالى أخبرنا أن في الجنة عسلًا، وعندنا في الدنيا عسل؛ والله أخبرنا أن في الجنةِ نساء، وعندنا في الدنيا نساء؛ والله أخبرنا أن في الجنة خيامًا وقصورًا، ونحن عندنا الخيام، والقصور، لكنه ليس في الجنة من الدنيا إلا الأسماء فقط كما قالهُ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما .

ونحن عندنا لبن، وفي الجنة لبن لكن الاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات كما قررهُ ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتاوى في عقيدة التدمرية.

وكذلك: نؤمن بأن في النار سلاسلًا وأغلالًا وزقومًا وسعيرًا وزمهريرًا، وهذا موجود عندنا في الدنيا؛ - والزمهرير هو: شدة البرد -، فأهل النار لهم عذابان فيعذبون بشدة البرد والزمهرير، ثم توقد أجسامهم شرارةً حتى تصل إلى شدة الحرارة-نسأل الله السلامة -ولكن ليس في جهنم مما في الدنيا إلا مُجرد الأسماء فقط.

فكل شيء ورد في نعيم الجنة فالواجب علينا أن نؤمن به، وكل شيءٍ ورد في عذاب جهنم فالواجب علينا أن نؤمن به.

العقيدة الرابعة: الإيمان بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سيملأ الجنة، وسيملأ النار، قال الله تعالى: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود:١١٩]، ويقولُ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ مَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ**

وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا»(١).

فإن قلت: وكيف يحصل ملءُ الجنة؟

الجواب: أهل الجنة من أهل الدنيا عند دخولهم الجنة، سيبقى أمكنة في الجنة، لأن الجنة واسعة ينتهي بها أهل الدنيا، ويبقى فيها شيء من النعيم الكثير لم يسكنه أحد؛ قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**وَلَا تَزَالُ الجَنَّةُ تَفْضُلُ، حَتَّى يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقًا، فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الجَنَّةِ**»(٢) فهم لن يكونوا من أبناء آدم، لكن خلق جديد الله أعلم بصفاتهم، والله أعلم بأحوالهم.

أما بالنسبة للنار: فالله تعالى لن يخلق لها خلقًا جديدًا، وإنما يضع رب العزة عليها قدمهُ، وفي روايةٍ: «**لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ وَعِزَّتِكَ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ**»(٣)؛

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [قَوْلِهِ: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق:٣٠] (٦/ ١٣٨) برقم: [٤٨٥٠]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ] (٤/ ٢١٨٧) برقم: [٢٨٤٦].

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم:٤]، ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنافقون:٨]، وَمَنْ حَلَفَ بِعِزَّةِ اللهِ وَصِفَاتِهِ] (٩/ ١١٧)، برقم: [٧٣٨٤]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ] (٤/ ٢١٨٨)، برقم: [٢٨٤٨].

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [الحَلِفِ بِعِزَّةِ اللهِ وَصِفَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ] (٨/ ١٣٤) برقم: [٦٦٦١]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ] (٤/ ٢١٨٧) برقم: [٢٨٤٨].

لأن الله ينعم ابتداءً، ولا يعذبُ إلا بسبب؛ فسبحانه يُنعم ابتداءً ؛ فيخلق للجنة ناسًا لم يفعلوا خيرًا قط؛ لأنهُ من كمال فضلِهِ الإنعام، ولو بدون سابق موجبٍ للتنعيم.

وأما في النار فلا ينشئ لها خلقًا آخر؛ لأنهُ من كمال عدله أنه لا يُعذِّب إلا بسببٍ يوجبُ التعذيب .

وبإيمانك بهذه الأمور عن الجنة والنار: أنهما موجودتان، وأنهما باقيتان أبد الآباد لا تفنيان، ولا تبيدان، وأن الله جَلَّوَعَلَا خلقهما ؛ والإيمان بما ورد فيهما من النعيم في الجنة، والعذاب في جهنم، والإيمانُ بأن الله سيملؤهما؛ فتكونُ بذلك قد آمنت بالجنة، والنار، ومن آمن بهما على هذا الوجه المأمور به شرعًا فحريٌ أنه يدخله الله جنته، ويصرف عنه ناره .

ثم قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ... عَمَلٌ يُقارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ

وهذا أيضًا من مُقتضيات الإيمان باليوم الآخر، وهو الإيمان بنعيم القبر، وسؤالِه، وعذابِهِ فنحنُ نُثبتُه، ونؤمنُ إيمانًا جازمًا بأن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنهُ أصحابه؛ فإن ملائكةً قد وكلهم الله عليهم بسؤاله فيسألونه؛ فإن أجاب الإجابة الصحيحة فسيعيشُ في نعيمٍ إلى أن يبعثهُ الله يوم القيامة، وإن أجاب بجوابٍ خاطئ فإن الله سيجعله في عذابٍ إلى أن يبعثهُ الله.

وإن عذاب القبر، ونعيمه قد ثبت في القرآن كما في قول الله جَلَّوَعَلَا عن آلِ فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ ﴾ [غافر:٤٦] هذه في الدنيا أي

عــذاب الــبرزخ، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦]، ومنها أيضًا ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾ [النازعات:١، ٢] أي الملائكة تنزعُ أرواح الكُفار فتنشط في نزعها من باب العقوبة، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [الأنفال:٥٠]، وهذا من عذاب البرزخُ-والعياذُ بالله-نسأل الله ألا يعذبنا في الدنيا ولا في الآخرة ولا في قبورنا -.

ويقولُ الله جَلَّ وَعَلَا عن الكُفار: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة:١٠١]؛

فالمرة الأولى: ما يصيبهُم من القهر، والغلبة في الحروب، والموت، وغيرها.

والمرة الثانية قال: «في قبورهم».

فيكونوا قد عُذبوا مرتين: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ أي عذاب جهنم، ويقولُ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَتَقُولُ فَعَلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى**

النَّاسِ: مَا قِبَلِي مَدْخَل»(١)، وفي «الصحيحين» من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(٢).

وفي الصحيح **عَنْ عَائِشَةَ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: **أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَذَكَرَتْ عَذَابَ القَبْرِ، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ اللهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **عَنْ عَذَابِ القَبْرِ، فَقَالَ: «نَعَمْ، عَذَابُ القَبْرِ» قَالَتْ عَائِشَةُ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: **فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **بَعْدُ صَلَّى صَلَاةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ زَادَ غُنْدَرٌ: «عَذَابُ القَبْرِ حَقٌّ»**(٣).

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هُريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الآخِرِ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ**

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» باب: [ذِكْرُ الْخَبَرِ الْمُدْحِضِ، قَوْلَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ لَا يُحَرَّكُ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَى أَنْ يَبْلَى] (٧/ ٣٨٠) برقم: [٣١١٣]، وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ١٠٥) برقم: [٢٦٣٠]، وحسنه الألباني في «التعليق الرغيب» (٤/ ١٨٨-١٨٩).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [المَيِّتِ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ] (٢/ ٩٩)، برقم: [١٣٧٩]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ عَلَيْهِ، وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ] (٤/ ٢١٩٩)، برقم: [٢٨٦٦].

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [ما جاء في عذاب القبر] (٢/ ٩٨)، برقم: [١٣٧٢].

عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»(١) وذكر منها وعذاب القبر.

والأدلة في ذلك قد بلغت مبلغ التواتر، وعِندنا هنا بعض المسائل:

فإن قلت: هل الروحُ تموت أم لا؟

الجواب: هذه مسألةٌ فيها شيءٌ من النزاع بين أهل العِلم، والقول الصحيح: أنهُ إذا كان المقصود بموتها أي مُفارقتها للجسد؛ فإنها وإن سُميت ميتةً بهذا الاعتبار فلا حرج، وأما إذا كان المقصود بموتها اضمحلالهُا، وعدمُها، وفناؤها بالكُلية فهذا باطلٌ بإجماع العلماء، فإن الله خلق الروح للبقاء لا للفناء، فالروح تبقى بعد مفارقة جسد صاحبها مُنعمةً أو مُعذبةً.

فإن قلت: وهل عذاب القبر على الروح أم على الجسد؟

الجواب: فيهِ خلاف بين أهلُ العِلم، والذي جرى عليهِ أكثر أهل السُنة والجماعة أنهُ على الروح بالأصالة، وعلى الجسد بالتبع؛ أي على الروح والجسد معًا، سواء عذاب أو نعيم.

فإن قلت: وهل سؤالُ القبر خاصٌ بهذه الأُمة، أم عامٌ لكل الأمم؟

الجواب: فيه خلاف بين العلماء، والقولُ الصحيح أنهُ عامٌ لكل أمة؛ فأمة نوح سوف تُسأل في قبورها، وأمة موسى سوف تُسأل في قبورها، وأُمة عيسى سوف تُسأل في قبورها، ومن جملة الأمم التي سوف تُسأل في قبورها أمةُ

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [مَا يُسْتَعَاذُ مِنْهُ فِي الصَّلَاةِ] (١/ ٤١٢)، برقم: [٥٨٨].

محمدٍ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فكل أمةٍ سوف يسألها الله عن نبيها الذي بُعث إليها.

فإن قلت: وهل عذابُ القبر خاصٌ بمن قُبِر فقط؟ وما حال من أكلتهُ الأسماك؟ وما حال من غرق في البحر، وتفتت لحمهُ؟ وما حال من احترق، وذرتهُ الريح فصار رملًا؟ وما حال من أكلهُ السبع في الغابة؟

الجواب: اعلم أن قدرة الله جَلَّوَعَلَا فوق كل شيء فكل من مات وخرجت روحهُ بغض النظر عن طريقةِ موته، وهل دُفِن أم لم يُدفن؛ فإنهُ سيصلهُ ما كتبه وأرادهُ اللهُ لهُ من السؤال، والنعيم، والعذاب سواءً قُبر أو لم يُقبر، سواءً دُفِن أو لم يُدفَن؛ سواءً أكلتهُ الأسماك أو أكلتهُ السباع، وقدرةُ الله جَلَّوَعَلَا فوق ذلك.

فلا شأن لنا بقُبِر أو لم يقُبِر لأن الله لو قدر نعيمًا لأحدٍ فإنهُ سيصيبهُ بعد موتِهِ، وخروج روحه مباشرة سواء دخل جسدهُ في القبر أم لا، وإذا قدر الله لأحد عذابًا أو جحيمًا فإنهُ سيصله ما قدر، وكُتِب له سواءً قُبِر جسدهُ أم لم يُقبَر.

والدليلُ على ذلك: قول النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا، فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللهُ الأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ»**

وَقَالَ غَيْرُهُ: «مَخَافَتُكَ يَا رَبِّ»(١)، فهذا الرجل كان جاهلًا بعظيم قدرة الله جَلَّ وَعَلَا .

فإن قلت: هل سؤالُ القبر سيكون لمن مات صغيرًا أو مجنونًا؟ أم أنهُ لا يُسأل إلا المُكلفون فقط؟

الجواب: هذا فيهِ خلافٌ بين العلماء، والخلاف بينهم لفظي لا ثمرة له.

فمن أهل العِلم من قال: أنهُ يخص به المكلف فقط، وأما غير المُكلف فلا يُسأل، إذ لا فائدة من سؤاله.

ومن أهل العلم من قال: بل كلُ من مات فإنه سيسأل حتى ولو كان مجنونًا أو صغيرًا لكن المجنون والصغير سيوفقون للإجابة.

فالخلاف لو نظرت إليه تجده خلافًا لفظيًا لا ثمرةُ له فسواء قُلنا: سيُسألون، ويوفقون للإجابة فالنتيجة واحدة: يُسألون أو لا يُسألون، فالجميع اتفقوا على أنهُ لا يضرُهم سؤال القبر، ولا أنه يُصيبهم عذابه.

فإن قلت: كيف نجيب على من ينكر عذاب القبر ونعيمه؛ بأنه لا يشعر به الأحياء ولا يحس به؛ فلو أننا فتحنا قبر الكافر لما وجدنا عذابا ولو فتحنا قبر الكافر لما وجدنا نعيمًا؟

الجواب: إن الإجابة عن هذا الإشكال بسيطة ويسيرة ولله الحمد، وذلك في عدة أمور:

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [حديث الغار] (٤/ ١٧٦)، برقم: [٣٤٨١].

الأمر الأول: أن تؤمن إيمانًا جازمًا بأن قضية سؤال القبر ونعيمه وعذابه من الأمور التي أخفاها الله عن حواسنا، فهي من أمور الغيب، والواجب علينا تجاه الأمور الغيبية أن نؤمن بها، ونسلم بها لله، وأن لا نخوض في هذا الباب بعقولنا الضعيفة العاجزة.

فعقيدة السلف مبنية على أن لا تعتقد إلا ما أثبته الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، وأن تحجب عقلك وتمنعه من الخوض في أمور الغيبيات من غير برهان ولا دليل؛ فالغيب يجب الإيمان به كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة: ٢ - ٣]، فحتى لو فتحنا قبر الكافر فلن ندرك عذابه بحواسنا؛ لأن عذاب القبر ونعيمه إنما يدركه من انتقل من هذه الدنيا إلى الآخرة، فأنت لاتزال في الدنيا؛ فحينئذٍ أنت لن تحس به؛ لأنك لست من أهل الإحساس به .

الأمر الثاني: أن طرق إثبات الأشياء كثيرة، فمنها طريق الحس، وهو دليل الشرع، فإذا أثبت القرآن شيئًا فهو ثابت سواء دخل في حواسك أو لم يدخل؛ لأن طريق إثبات الشرع طريق خاص مستقل؛ فإذا أثبت الله جَلَّ وَعَلَا شيء من الأمور الغيبية فالواجب عليك أن تؤمن بها وتسلم، سواءٌ دخلت تحت مدركات حواسك أو لم تدخل.

الأمر الثالث: أن نعيم القبر وعذابه إنما أُخفي علينا حتى لا نهتم ونغتم، فهذه نعمة عظيمة؛ لأن الدليل أخبر أنه لو أن الإنس والجن سمعوا صوت صرخة رجل يعذب في قبره لصعقوا عن بكرة أبيهم، وهلكوا، وسقطوا في أماكنهم أمواتًا، وهذا شيء عظيم.

يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين، ولو سمعها الثقلان لصعقوا»؛ فلو كان وسمعوها لما أمكنهم ممارسة الحياة، ما بين طلب للرزق، وطلب للزواج، وتربية للأبناء، وذهاب للوظيفة، فكيف نجعل نعمة الله سببًا لإنكار ما أخبرنا الله به ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الأمر الرابع: أنه إذا سمع الناس عذاب القبر لما تدافنوا، ولظلت الجثث ملقاة في الطرق والسكك لا تُدفن، خشية أن يذهبوا فيسمعوا عذاب شخص في قبره؛ ودليل ذلك ما جاء في «صحيح الإمام مسلم» من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ، عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ - قَالَ: كَذَا كَانَ يَقُولُ الْجُرَيْرِيُّ - فَقَالَ: «**مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟**» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: «**فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟**» قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ، فَقَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**»(١)؛ فهذه رحمة بكم حتى يدفن بعضكم بعضًا فقد عفا الله عن آذانكم وعن أسماعكم عذاب القبر، فنذهب بالميت ولا ندري ما يحصل لهم في قبورهم، وقد يكون العديد منهم يصيحون بالقبر ونحن لا نسمعهم وهذه رحمة من الله بنا، فنذهب بالميت ثم ندفنه ونرجع ونحن في سلامة واطمئنان؛ لكن لو سمعنا صراخ هؤلاء الأموات لبقيت تلك الجثث ملقاة في الشوارع لم يدفنها أحد ولخرج منها

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ عَلَيْهِ، وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ] (٤/ ٢١٩٩)، برقم: [٢٨٦٧].

الدود، وانتشرت الهوام، والأمراض، ولهلكت البشرية عن بكرة أبيها؛ فهذه نعمة عظيمة؛ يجب أن نشكر الله عليها، لا أن نجعلها سبيلًا لرد ما ثبت عن الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الأمر الخامس: أن عذاب القبر قد يكشفه الله لمن شاء أن يكشف له، فهو ليس قضية غيبية لا يكشف لأحد، ففي بعض الأوقات يكشفه الله جَلَّ وَعَلَا لمن شاء، وممن شاء اللهُ لهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالنبيُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يكشف له شيء من عذاب القبور في قبورهم، رحمة بأصحاب القبور حتىٰ يشفع لهم، أو يضع شيئًا من الجريد الرطب علىٰ قبورهم تخفيفًا؛ وفي «الصحيحين» من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**» ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «**لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»(١).

وقد ذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتابه (الروح) قصصًا عجيبة عن كثير من الناس أنهم سمعوا عذاب القبر، وقد كشفه الله لهم، فعذاب القبر مثل ليلة القدر، حيث إن ليلة القدر الأصل فيها الإخفاء؛ لكن قد يكشفها الله لأحدٍ منامًا، أو رؤيةً، أو رؤية مصابيح تنزل من السماء، فهذا قد

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [مَا جَاءَ فِي غَسْلِ البَوْلِ] (١/ ٥٣)، برقم: [٢١٨]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [الدَّلِيلِ عَلَى نَجَاسَةِ الْبَوْلِ وَوُجُوبِ الاسْتِبْرَاءِ مِنْهُ] (١/ ٢٤٠)، برقم: [٢٩٢].

يحدث أحيانًا، فكذلك عذاب القبر الأصل فيه الغيب؛ لكن يكشفه الله أحيانًا لبعض خلقه .

فهذه الأدلة تُبين أن من ينكر عذاب القبر؛ لأنه غير محسوس، إنما هو مكذب لأدلة الوحيين، ولا يريد أن يؤمن بما أمره الله جَلَّوَعَلَا أن يؤمن به.

ثم قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

هذا اعتقاد الشافعي ومالك... وأبي حنيفة ثم أحمد ينقل

بين شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذا الاعتقاد الذي ذكره إنما هو اعتقاد الأئمة الأربعة.

فإن قلت: لماذا لم يقل: وهذا اعتقاد أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، فلماذا خصَّ هؤلاء الأربعة ؟

الجواب: لأنهم أصحاب أكبر المذاهب في هذه الدنيا، فأغلب الدنيا إما حنبلي، وإما شافعي، وإما حنفي، وإما مالكي؛ فهو يريد أن يبين لأتباع أصحاب هؤلاء المذاهب أن إمامكم أبا حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان علىٰ هذه العقيدة، وأن إمامكم مالكًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ إن كنتم من المالكية كان علىٰ هذه العقيدة، وأن إمامكم الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان علىٰ هذه العقيدة، وأنتم يا حنابلة كان إمامكم الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ هذه العقيدة؛ فإنما الخلاف بين هؤلاء الأئمة ليس في هذه العقائد والأصول؛ وإنما الخلاف بينهم في الأمور الفقهية العملية والأحكام فقط، وأما المسائل العقائدية فإنه لا يُعرف عن الصحابة، ولا عن التابعين، ولا عن أئمة السلف خلاف في مسائل العقيدة.

فإننا في مسائل العقائد لا نقول هذا حنبلي، هذا شافعي، وإنما نسميه سني أو بدعي، وأما في مسائل الفقه فيمكن أن يكون فيها خلاف وانقسام؛ وبهذا يتبين لنا حكمة أبي العباس ابن تيمية في ذكر هؤلاء الأئمة دون غيرهم من الصحابة والسلف .

ثم قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

فإن اتبعت سبيلهم فموفق... وإن ابتدعت فما عليك معول

هذا البيت يتضمن: الأمر بالاتباع، والنهي عن الابتداع، فالشريعة قامت علىٰ هذا الأصل الكبير وهو الأمر بالاتباع، والنهي عن الابتداع، وقد وردت الأدلة القرآنية من الكتاب، والأدلة من السنة آمرة الناس باتباع الشرع، ناهية عن الابتداع، ففي «الصحيحين» من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ»**[١]، وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي»**[٢] وفي رواية ـ **«كِتَابَ اللهِ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي»**[٣].

---

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ] (٣/ ١٨٤) برقم: [٢٦٩٧]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ] (٣/ ١٣٤٣) برقم: [١٧١٨].

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (١/ ١٧٣) برقم: [٣١٩]، حسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١/ ٦٦) برقم: [١٨٦].

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١١٨) برقم: [٤٥٧٦]، وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥/ ٨٩) برقم: [٤٧٥٧].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث العرباض ابن سارية: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بعدي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١).

وفي «صحيح الإمام مسلم» من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَإِنَّ أَفْضَلَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٢).

وفي «صحيح الإمام البخاري» أيضًا من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى**»، **قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٨/ ٣٧٥) برقم: [١٧١٤٥]، وأخرجه أبو داود في سننه (٤/ ٢٠٠) برقم: [٤٦٠٧]، وأخرجه ابن ماجه في سننه باب: [اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ] (١/ ١٥) برقم: [٤٢]، وأخرجه الترمذي في سننه باب: [مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ البِدَعِ] (٥/ ٤٤) برقم: [٢٦٧٦]، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٥٨) برقم: [١٦٥].

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٨/ ٣٧٥) برقم: [١٧١٤٥]، وأخرجه أبو داود في «سننه» (٤/ ٢٠٠) برقم: [٤٦٠٧]، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١/ ٥٨) برقم: [١٦٥].

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [الاقتداء بسنن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] (٩/ ٩٢) برقم: [٧٢٨٠].

وفي «صحيح الإمام البخاري» رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ من حديث ابن عباس قال: «قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « **أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ ثَلاثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ** »(١).

وفي «صحيح الإمام البخاري» من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «**جَاءَتْ مَلاَئِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمُحَمَّدٌ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ**»(٢) أي فرق بين المؤمنين والكفار والأبرار والفجار وأهل السنة وأهل البدع.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [مَنْ طَلَبَ دَمَ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ] (٩/ ٦) برقم: [٦٨٨٢].

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] (٩/ ٩٣)، برقم: [٧٢٨١].

وفي «الصحيحين» من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. فَقَالَ: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»(١).

وفي «الصحيحين» أيضًا من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ**»(٢).

---

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ] (٧/ ٢)، برقم: [٥٠٦٣]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ، وَوَجَدَ مُؤَنَهُ، وَاشْتِغَالِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الْمُؤَنِ بِالصَّوْمِ] (٢/ ١٠٢٠)، برقم: [١٤٠١].

(٢) **متفق عليه:** أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [الِانْتِهَاءِ عَنِ المَعَاصِي] (٨/ ١٠١)، برقم: [٦٤٨٢]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [شَفَقَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ وَمُبَالَغَتِهِ فِي تَحْذِيرِهِمْ مِمَّا يَضُرُّهُمْ] (٤/ ١٧٨٨)، برقم: [٢٢٨٣].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا**»(١).

وفي «الصحيحين» من حديث أبي موسىٰ الأشعري قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**»(٢).

والأحاديث في هذا المعنىٰ والنصوص كثيرة جدًا، تأمرنا بمتابعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتنهانا عن مخالفته، وعندنا في الابتداع والاتباع قواعدُ مهمة علينا الانتباه لها:

---

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [الِانْتِهَاءِ عَنِ المَعَاصِي] (٨/ ١٠٢)، برقم: [٦٤٨٣]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [شَفَقَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ وَمُبَالَغَتِهِ فِي تَحْذِيرِهِمْ مِمَّا يَضُرُّهُمْ] (٤/ ١٧٨٩)، برقم: [٢٢٨٤].

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ] (١/ ٢٧)، برقم: [٧٩].

- **القاعدة الأولى: كل بدعة ضلالة.**

بمعنىٰ أنه ليس في الدين شيء يسمىٰ بدعة حسنة، فهذا أمر استحدثه بعض الفقهاء، وأما باعتبار الدليل فإن الدليل قد شهد بأن البدع كلها ضلالة لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»(١).

- **القاعدة الثانية: الأصل في العبادات الحظر والتوقيف على النص.**

بمعنىٰ أنه لا يجوز للإنسان أن يتعبد لله جَلَّ وَعَلَا بشيء من العبادات إلا وعليه دليل من الشرع، فإذا دل الدليل علىٰ جواز التعبد بهذا القول أو هذا الفعل، فنعمل به ونتعبد لله تعالىٰ به، وإذا لم يأتِ دليل يدل علىٰ ذلك فلا نأخذ به.

- **القاعدة الثالثة: كل عبادة لا يعرفها سلف الأمة فبدعة.**

فمثلًا: لو جئنا إلىٰ أمر المولد النبوي، فإذا عرضناه علىٰ ما كان عليه السلف، لوجدنا أنه ما قام به أحد قط، فإذًا لا يجوز أن يتعبد لله به؛ لأن أي عبادة لا يعرفها الصحابة ولا السلف فإنها ليست في الحقيقة عبادة وإنما هي بدعة ومحدثة في الدين.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٨/ ٣٧٥) برقم: [١٧١٤٥]، وأخرجه أبو داود في «سننه» (٤/ ٢٠٠) برقم: [٤٦٠٧]، وأخرجه ابن ماجه في «سننه» باب: [اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ] (١/ ١٥) برقم: [٤٢]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ الْبِدَعِ] (٥/ ٤٤) برقم: [٢٦٧٦]، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١/ ٥٨) برقم: [١٦٥].

كذلك: قراءة الفاتحة علىٰ روح الأموات لم تكن معروفة في عهد الصحابة ولا السلف الصالح.

وكذلك: قراءة الفاتحة عند الخطوبة، لم تكن معروفة في عهد الصحابة ولا السلف الصالح.

وعلىٰ ذلك أمثلة كثيرة جدًا، ونخلص من ذلك: أن كل عبادة لا يعرفها الصحابة ولا هي من ميراث السلف الصالح، فإنها تكون محدثة باطلة.

- **القاعدة الرابعة: الأحكام الشرعية تفتقر في ثبوتها إلى الأدلة الصحيحة الصريحة.**

بمعنىٰ أنه لا يجوز للإنسان أن يحرم شيئًا إلا بدليل، ولا أن يوجب شيئًا إلا بدليل، ولا يحكم باستحباب شيء إلا بدليل؛ وهكذا دواليك في سائر الأحكام الشرعية، لأن الأحكام الشرعية من تحريم، أو تحليل، أو ندب، أو كراهية، أو إباحة؛ تفتقر في ثبوتها للأدلة الصحيحة الصريحة.

- **القاعدة الخامسة: شرعية الشيء بأصله لا تستلزم شرعيته بوصفه.**

فتجد أن بعض أهل البِدَع قد يستدل علىٰ بدعته بآية من القرآن أو حديث عن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكنه لا يُنْزل الآية ولا يُخْرجها علىٰ وجهها الذي نزلت عليه، بل يُضْفي عليها ويضيف عليها زمانًا لا دليل عليه، أو مكانًا لا دليل عليه، أو مقدارًا لا دليل عليه، أو صفة لا دليل عليها.

ومثال ذلك: ذكر الله جماعةً دبر كل صلاة، فإذا قلت لهم الذكر الجماعي بدعة، فيقولون: هذا كذب، كيف يكون بدعة والله عَزَّوَجَلَّ يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٤١]، ويقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، فالخلاف ليس على أصل الذكر الذي هو سبحان الله، والحمد لله، وهكذا، وإنما إيقاع الذكر على هذه الصفة، فالمطلوب هنا الدليل على هذا الصفة، فأنت لا حق لك على أن تستدل على مشروعية صفتك المحدثة بالأدلة التي تثبت أصل مشروعية الذكر؛ لأن دليل الذكر الأصل للأصل، ويبقى الوصف شيئًا زائدًا يحتاج إلى دليل آخر.

ومثال ذلك: من يحتفل بمولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقولون نحن نحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويُجاب عليهم: بأننا نحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومحبته فرض عين على كل مسلم ومسلمة ؛ لكن هل سمح لك الشارع أن تعبر عن هذه المحبة بهذه الطريقة !؟، فنحن ننكر الطريقة ولا ننكر أصل المحبة، فأصل محبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا خرج من قلبك لكفرت بالله العلي العظيم، وهل هناك أحد يبغض رسول الله!؟ فإن وجد فهذا كافر، ولكن نقول لك: أبق هذه المحبة في قلبك، والتعبير عن هذه المحبة يكون بالاتباع لا بالابتداع.

ولا يجوز لنا أن نعبر عن هذه المحبة بالابتداع والقصائد واختلاط الرجال بالنساء ونحوه، كما يحدث في كثير من البلاد الإسلامية، فأنا أنكر التعبير لا أنكر أصل المحبة ؛ فلا يجوز الاستدلال بالأدلة التي تثبت أصل محبة رسول الله؛ لأن الدليل الأصل للأصل ويبقى الوصف شيء زائد يحتاج إلى دليل آخر؛ لأن شرعية الشيء بأصله لا تستلزم شرعيته بوصفه.

- **القاعدة الأخيرة: يعامل المبتدع الكافر معاملة الكفار، ويعامل المبتدع الفاسق معاملة فساق المسلمين.**

فالبدعة تنقسم إلىٰ قسمين منها ما يسمىٰ بدعة مكفرة، ومنها ما هو بدعة مُفَسِّقَةٌ.

فإذا مات رجل بين أيدينا وهو كافر بالله، فيتم معاملته معاملة الكفار، بمعنىٰ أننا لا نغسله، ولا نكفنه، ولا نقدمه ليصلي عليه المسلمون، ولا يدعىٰ له بالرحمة، ولا ندفنه في مقابر المسلمين؛ لأن هكذا نفعل بالكفار.

كذلك صاحب البدعة المكفرة لا يتزوج من مسلمة؛ لأن حكمه حكم الكافر، ولا نبدأهم بالسلام؛ لأن اليهود والنصارىٰ، لا نبدأهم بالسلام، ولا يُقدم إمامًا في الصلاة؛ لأنه كافر ومن شروط صحة العبادة الإسلام.

وبناءً على ذلك: من يطوفون حول القبور قد ارتكبوا بدعة مُكفرة، والذين يذبحون لغير الله، فيذبحون للقبور فهؤلاء بدعتهم مكفرة، ثم بعد أن يذبح للقبر تجده يتوضأ ويصلي لله جَلَّ وَعَلَا إمامًا ويصلي وراءه آلاف الناس، وهذا كله حرام، فهذا كافر، وصلاته باطلة، وصلاة من صلىٰ خلفه باطلة.

وأما المبتدع الفاسق: فهذا يعامل معاملة فساق المسلمين، بمعنىٰ أنه لا نحرمه من الزواج من مسلمة، ولا يمنع من إمامة الصلاة، ولا يُعاد إن كان مريضًا إلا إذا كان في عيادته مصلحة شرعية في دعوته إلىٰ الخير.

فأهل البدع يستحقون منا البغض المطلق إذا كانت بدعته مكفرة، فنعاديه المعاداة المطلقة؛ وأما إذا كان بدعته مفسقة فإننا نبغضه علىٰ قدر جريمته.

ولا يفوتني في نهاية هذه المنظومة المباركة أن أذكر بعض الوصايا الخفيفة، التي أوصي نفسي وإياكم بها:

- **الوصية الأولى: أوصيكم بتقوى الله** جَلَّ وَعَلَا:

وهي وصية الله جَلَّ وَعَلَا للأولين وللآخرين، فتقوىٰ الله هي أفضل لباس، وأجمل لباس، كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ويقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف: ٢٦]، ويقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ ﴾ [التوبة: ١٠٩]، هذا في الزاد، ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وهذا في اللباس، ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ ﴾ [التوبة: ١٠٩]، هذا في البنيان.

فالتقوىٰ هي الملازمة للإنسان في كل مصادره وموارده، في مدخله، وفي مخرجه، وفي مأكله، وفي مشربه، وفي ذهابه وإيابه، وفي وظيفته وعند بيته؛ فما لازمت التقوىٰ قلب أحد إلا أوصله الله جَلَّ وَعَلَا إلىٰ أعلىٰ الدرجات، وقال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [النساء: ١٣١].

- **الوصية الثانية: الإخلاص في طلب العلم.**

فالإخلاص واجب في كل الأمور، دقيقها وكبيرها، سواءٌ في العبادات، أو العادات؛ فإن النية الصالحة تقلب العادات إلىٰ عبادات.

فعليك بالنية الصالحة في كل شيء، اجعل لك في كل باب من أبواب الخير نية صالحة، فلعل الله أن يوجب لك الجنة بهذا الباب من الخير، والإنسان لا يدري عن الحسنة التي يدخل بها الجنة.

فإن بغيًّا من بغايا بني إسرائيل- والمرأة لا توصف بأنها بغي بزنا مرة أو مرتين بل لا توصف بالبغاء إلا إن كان هذا هو ديدنها - سقت كلبًا فشكر الله لها فأدخلها الجنة، فلا تدري عن الحسنة التي تدخلك الجنة.

يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللهِ لَأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ**»(١)، فينبغي لك أن تجعل في كل باب من أبواب الخير نية صالحة، والأعمال مبناها على الإخلاص، والإخلاص هو محط نظر الرب، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»(٢).

- **الوصية الثالثة: الصبر والمثابرة والهمة العالية في طلب العلم وتحصيله.**

فإن العلم يحتاج إلى طول نفس، وإلى عزم، وهمة ماضية، وعزيمة قوية، ويحتاج إلى مواصلة، وإلى صبر، وإلى احتساب أجر، وإلى تحمل الذل عند التعليم، وإلى ثني الركب عند أبواب العلماء، وإلى الرحلة عند العلماء حتى وإن كان بعيدًا عن بلدك؛ فلابد من صبر ومصابرة.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [فَضْلِ إِزَالَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ] (٤/ ٢٠٢١)، برقم: [١٩١٤].

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ] (٤/ ١٩٨٧) برقم: [٢٥٦٤].

فلا تظن أنك ستكون عالمًا بقراءة كتاب أو كتابين، أو أقل أو أكثر، بل لا تكون عالمًا إلا إذا داومت وثابرت، فالعلم أثره تراكمي مستقبلي، أي أنه يأتيك تباعًا، فاليوم تتعلم مسألة، وغدًا تتعلم أخرىٰ، ثم تنظر بعد عدة سنوات مع المثابرة والعزيمة والصبر إلىٰ العاقبة الحسنة .

- **الوصية الرابعة : نشر العلم وبثه في الناس، وأن لا يبقى في صدوركم فقط.**

فالعبد عليه أن لا يقتصر علىٰ التلقي فقط، ولكن لابد أن يتلقىٰ وينشر ما تعلم، فنعلم الأم، والأب وسائر أفراد الأسرة، وبعمل جلسات إيمانية بين الأصحاب، لكي تنشر العلم ؛ فإن كثيرًا من أمهاتنا وآبائنا قد يجهلون خصائص العقيدة، وقد لا يعرفون الكثير مما يجب عليهم تعلمه، وكما هو معلوم لديكم أن تعلم العقيدة مما يجب علىٰ الإنسان، حتىٰ تكون عقيدته سليمة صحيحة خالية مما ينقضها، فعلم والدك، علم أمك مثل هذه العقائد، وعلمهم ما الواجب علينا تجاه عذاب القبر، ما الواجب علينا تجاه الملائكة، وغيرها من أمور الاعتقاد، فإن خير من علمت أهلك، وأقاربك، وجيرانك، وإذا كنت إمام مسجد فمثل هذا مطلوب منك أن تبلغه للناس .

- **الوصية الخامسة : أوصيكم بتآلف القلوب، وصفاء النفوس فيما بينكم، وأن لا يدخل من يفرق بينكم.**

لتكن قلوبكم واحدة، وقوتكم واحدة، وكلمتكم واحدة، وصفًا واحدًا علىٰ قلب رجل واحد .

الصغير يحترم الكبير، والكبير ينظر إلىٰ الصغير نظرة شفقة وبر وإحسان ورحمة، وكلنا نتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، ونتناهىٰ عن الإثم والعدوان، نتآمر

فيما بيننا مطبقين قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [التوبة: ٧١].

واحذروا رعاكم الله من أن ينشأ بينكم مفرق، أو حاقد، أو حاسد، فإن الثمرة الفاسدة تفسد ما في الصندوق من ثمار.

فالبلد التي ليس فيها شيء من الفرقة ولا شيء من التحزب، ولا شيء من الضغائن والحسد والحقد، فهي بلد يمن الله عليها بإذنه بالهداية، ويمن علىٰ أهلها بالرفق والخير.

فالله الله أيها الأحبة بتآلف القلوب وصلاح النفوس، وصلاح البواطن، وإصلاح ذات البين فيما بينكم.

فلا يُبغض بعضكم بعضًا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا يهجر بعضكم بعضًا، وكونوا أحبة وأخوة محققين قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]، ومحققين قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ**» ويقول: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا، إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا**»(١).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [لَا يَظْلِمُ المُسْلِمُ المُسْلِمَ وَلَا يُسْلِمُهُ] (٣/ ١٢٨) برقم: [٢٤٤٢]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ] (٤/ ١٩٨٦) برقم: [٢٥٦٤]، واللفظ لمسلم.





الخاتمة

نسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يحيي بيننا مبدأ الأخوة الإيمانية الدينية الشرعية، وأن يعيذنا وإياكم من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يغفر لأبي العباس ابن تيمية، وأن يرفع نزله، وأن يغفر زلاته، وأن يرفع درجاته، وأن يجعلنا من أتباعه على منهج نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يحشرنا وإياه في زمرة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأسأل الله أن يغفر ذنوبكم، وأن يعلي منازلكم، وأن يشرح صدوركم إلى الحق، وأن يبصرنا وإياكم بالصراط المستقيم، وأن يكفينا وإياكم شرور الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأسأل الله أن يحرم وجهي ووجوهكم ووجه المسلمين جميعا على النار، ونسأله جَلَّ وَعَلَا أن يحشرنا وإياكم في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، والله أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليم كثيرًا.

❀



فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة الشيخ	٧
ركائز مهمة	١٠
الفرق بين المذهب الحسي والمعنوي	٢٩
ثبات أهل السنة وتوحدهم، وانقسام غيرهم	٣٧
هل عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ من الصحابة؟	٤٣
عقيدة أهل السنة في الخلاف الذي وقع بين الصحابة	٥٢
عقيدتنا في آل البيت	٥٨
مسألة: كيف تمت الخلافة لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٦١
مسألة: كيف تمت الخلافة لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٦٣
مسألة: حكم سب الصحابة	٦٧
عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن	٧٣
هل القرآن يتفاضل	٧٥
أنواع التأويل وما هو المقبول منها والمردود	٨٤
عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات	٩٠
هل نقول الله في جهة	٩٣
مسألة: نزول الله تعالىٰ	٩٩
أنواع الإضافة إلىٰ الله تعالىٰ	١٠٣

الموضوع	رقم الصفحة
أبواب الضلال الكبيرة العظيمة: اتباع المتشابهات وترك المحكمات	١٠٩
عقيدة أهل السنة والجماعة في رؤية الله يوم القيامة	١١٤
إذا نزل الله في ثُلث الليل الآخر فهل يخلو العرش منه سبحانه؟	١٢٢
عقيدة أهل السنة والجماعة في الميزان	١٢٤
عقيدة أهل السنة والجماعة في حوض النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	١٢٩
هل لكل نبيٍّ حوضًا	١٣٢
هل الحوض هو الكوثر	١٣٣
عقيدة أهل السنة والجماعة في البعث والصراط	١٣٤
سببُ تفاوت الناس علىٰ الصراط الحقيقي في الآخرة	١٣٦
عقيدة أهل السنة والجماعة في الجنة والنار	١٣٩
عقيدة أهل السنة والجماعة في عذاب القبر ونعيمه	١٤٣
هل الروح تموت؟	١٤٦
هل عذابُ القبر خاصٌ بمن قُبِر فقط؟	١٤٧
الرد علىٰ من ينكر عذاب القبر ونعيمه؛ لأنه لا يشعر به الأحياء	١٤٨
بيان أن المذهب الحق هو مذهب الأئمة الأربعة	١٥٢
قواعد هامة لطلاب العلم	١٥٧
وصايا هامة لطلاب العلم	١٦٢
خاتمة	١٦٦
فهرس الموضوعات	١٦٧